فقه الوعظ والزهد والرقاق

في ضوء التقعيد الشرعي والاتفاق

الأصول والفروع

صنفه

فضيلة الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن عيد بن أبي السعود الكيال

كلية الشريعة - جامعة الأزهر

الكتيبة للأبحاث العلمية الشرعية

٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠

٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع
٣٧١٥ / ٢٠٢٤م

الناشر
الكيان للأبحاث العلمية الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب
«دين الإسلام كتاب وسنة: مواعظ وحكم وبلاغات، وملاكه التوحيد»

الحمد للَّه ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فقد قال اللَّه تعالىٰ في كتابه الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

فقد اتفق أهل التفسير سلفًا وخلفًا أنَ المراد بالموعظة في هذه الآية هو القرآن الكريم كُلّه، بأوامره، ونواهيه، وحدوده، وثوابه، وعقابه، وزواجره، ووعده، ووعيده، وقصصه، وأمثاله، وأخلاقه، وتوحيده، ومعتقده، ومعاملاته، وأصول العلمية والعملية، وأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ، وما كان من الأمم قبلنا مع الأنبياء والمرسلين، والجنة والنار، والحياة والموت، والقبر وأحواله، ويوم القيامة وما فيها، والملائكة، والعرش والكرسيّ، والسموات السبع والأرضين السبع، والبحار والأنهار والجبال والوحوش والحيوانات والحشرات والأنعام، وغير ذلك مما بيّنه هذا الكتاب الحكيم؛ فكانت المواعظ القرآنية تشتمل علىٰ كل هذا الدين بقواعده وأحكامه ومقاصده وأركانه وأصوله وأسسه، فكان هذا مما يوسّع من مضمون لفظة الموعظة، لأن القرآن كله مواعظ والسنة النبوية كذلك.

قال أبو عبد اللَّه القرطبي في: «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٢٥-٢٢٦):

«قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ أي: وعظ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: من الشك، والنفاق، والخلاف، ﴿وَهُدًى﴾ أي: ورشدًا لمن اتبعه، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: نعمة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّهم؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان، والكل صفات القرآن». اهـ.

وقال ابن كثير في: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٢٣):

«يقول تعالىٰ مُمْتنًّا علىٰ خلقه بما أنزله من القرآن العظيم علىٰ رسول الكريم، ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ أي: زاجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من الشّبه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس، وهو هدىٰ ورحمة، يحصل به الهداية والرحمة من اللَّه تعالىٰ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: فإنه أوْلىٰ ما يفرحون به، ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة» اهـ.

قلت: بل قرن اللَّه تعالىٰ الموعظة بالفرضية والوجوب - كما سيأتي لاحقًا فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فكانت الدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة بالمواعظ القرآنية التي هي أصل هذا الدين، والتي بها يتم تبليغ الرسالة كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهذه الآية بيان وتأكيد للمراد من الوجوب والفرضية لأهل الدعوة والتبليغ عن ربّ العالمين.

● وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فكانت سنن رسول اللَّه ﷺ وسنن أصحابه الكرام رضي الله عنهم بيانًا لهذه المواعظ والحكم والبلاغات، وجلّ هذا الكتاب بل كلّه علىٰ هذه السنن، وعليه، فقد جعلت مقدمة كتابي هذا بجملة عريضة من الآيات القرآنية سردًا وإجمالًا؛ لبيان هذه الشمولية الوعظية، والحكم والبلاغات الربّانية، ثم بعدها تكون المعالم السنّية وآثار السلف الوعظية.

- **المعالم القرآنية: وفيها عشرات الآيات الكلية:**

يقول اللَّه تعالىٰ:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗاۖ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨ -١٣٩].

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٤-٤٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ۦ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٩].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤-١١٥].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢].

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ﴾ [الحج: ٣٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور: ٣٤-٣٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٣٠].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦-٧].

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٣-١٤].

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٥-١٧].

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٧-٨].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾ [الفتح: ٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٦-٢٢].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣-٤].

● قلت: هذا ما كان من كتاب اللَّه من أوّل سورة البقرة إلىٰ سورة قريش، حاولت أن أجمع في هذه المقدمة القرآنية المنتقاة، علىٰ سبيل المثال لا الحصر، ليدل ما ذكر علىٰ مالم يذكر، وإن المتأمل والمتدبر لهذه الآيات ليعلم شمولية المواعظ التي تناولت كل ما في كتاب اللَّه مما ذكرته بعد قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وقد جعلت ذلك كله كدعامة لنصوص قرآنية هي بمثابة أدلة وبينات وحجج وبراهين تفجّرت منها المواعظ النبويّة، وآثار السلف الصالحين القوية، فكانت كل مواعظهم ابتداء من القرآن، ثم من سنن المصطفي ﷺ، فإن أصول هذا الدين من القرآن والسنة، ثم تفرع منهما كل أدلة الأحكام ومصادر التشريع، واستنباطًا من الأصلين العظيمين؛ وسيأتي قريبًا آيات للوعظ والتذكير علىٰ الخصوصية بلفظها الصريح غير ما ذكر علىٰ العموم.

ثبت العرش ثم أنقش
افتتاحية تعريش وفكرة نقش وتأسيس وتنصيص

روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٩٦٢-١٥٩٦٩) عن ربيعة بن عبّاد الديلمي أنه قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢)، «رجاله ثقات»، فهذه أول المواعظ في الأمة.

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش أم المؤمنين قالت: خرج رسول اللَّه ﷺ يومًا فزعًا محمَّرًا وجهه يقول: «**ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول اللَّه، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»، قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

• **وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٧٠٦٩)** عن أمِّ سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت: استيقظ رسول اللَّه ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحانَ اللَّهِ، ماذا أنزل اللَّه من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحبَ الحجرات** -يريد أزواجه- **لكي يصلّين، رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة**»، والحديثان في كتاب الفتن عند الشيخين.

• **وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦) في كتاب الزهد** عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر**».

وروىٰ مسلم (٢٩٥٧) عن جابر بن عبد اللَّه، أن رسول اللَّه ﷺ مرّ بالسوق، فمرّ بجدي أسكّ ميت [يعني: جدي صغير الأذنين] فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أتحبون أنه لكم؟**»، قالوا: واللَّه لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنّه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فواللَّه للدنيا أهون علىٰ اللَّه من هذا عليكم**».

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٦١٤٧) ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة قال النبيّ ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد، ألا كل شيْء ما خلا اللَّهَ باطلٌ».

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٠٢٥) عن سهل بن عبد اللَّه التستريّ قال: «كل شيْء دون اللَّه فهو وسوسة».

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧٥) عن الربيع بن خُثيم أبي زيد قال: «كل ما لا يُبْتغَىٰ به وجه اللَّه تعالىٰ يضمحلّ».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١١٧٩٣) قال عبد اللَّه بن المبارك الإمام: «أهل الدنيا خرجوا من الدنيا من قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها» فقيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: «المعرفة باللَّه ﷻ».

وفي «الحلية» (١١٧٩٦) عن سنيد بن داود قال: سألت ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قلت: فمن الملوك؟ قال: الزهّاد، قلت: فمن سفلة الناس؟ قال: الذين يعيشون بدينهم»، وفي رواية: «من يأكل بدينه».

وفي «الحلية» (١٩/ ١١٧) سُئل ابن المبارك: بقي من يصلح؟ قال: «فهل بقي من يقبل؟ !»

قال الحافظ الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه الأصفهانيّ الشافعيّ، المتوفّىٰ سنة (٤٣٠هـ) وصاحب أكبر موسوعة في الوعظ والزهد والرقاق عن السلف الصالحين، والتي جمع فيها (١٥٧٩٠) حديثًا وأثرًا، وجلّها آثار عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وأئمة هذا الدين إلىٰ القرن الخامس الهجري، في هذا المصنف الجليل: «حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء»، وفيها قال (١٠/ ٢٦٠):

«ومنهم القاصم الهاشم، واللائم النّاقم، الأنطاكيّ أحمد بن عاصم[1]، وكان للهوىٰ قاصمًا، ولشرور النفس هاشمًا، يُديم القيام، وينقم علىٰ اللوام، (ت ٢٣٩ هـ) ١٣٩٦٨- حدثنا . . . . ، . . . ، عن أحمد بن عاصم

(١) قال الإمام الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤١٠) في ترجمته: «الإمام القدوة واعظ دمشق، قال ابن يونس: هو جاسوس القلوب». اهـ

الأنطاكي قال: «إنّي تبحّرت العلوم، وجرّبت الأصول، وأدْمَنْتُ الفكر، وأُلهمت الاعتبار، وعنيت بالأذكار، وطالعت الحكمة، ودارست الموعظة، وتدبَّرت القول بالمعقول، وصرّفت المعاني بالذّهن؛ فلم أجد من العلم علمًا، ولا للصدر أشفىٰ، ولا للهمّ أنقىٰ، ولا للقلب أحيىٰ، ولا للخير أجلب، ولا للشّر أذهب، ولا علىٰ القلب أغلب، ولا بالبعد أولىٰ، من علم معرفة المعبود وتوحيده، والإيمان واليقين بآخرته؛ ليصح الخوف من عقابه، والرجاء لثوابه، والشكر علىٰ نعمه، والفكرة ليست لها غاية، والإلهام ليس له نهاية، وبدلالات العقول عُلم العزم، وبقوّة العزم يُقهر الهوىٰ، وإنّما يُوصل إلىٰ حقائق الأخبار بالعناية والتفهّم والتدبُّر؛ فعند ذلك يصح الإيقان، وتصح الأعمال، وإلّا كانت أعمال الارتياب، فليس المَلِكُ من تابع هواه ونال مُلْكَ الدنيا؛ بل المَلِكُ من مَلَكَ هواه، واستصغر مُلْكَ الدنيا».

وقال أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٧٠): «ومنهم الشيخ المسكين، الناصح الأمين، الناطق بالفضل الرّصين، أبو محمد سهل ابن عبد اللَّه بن يونس بن عيسىٰ بن عبد اللَّه بن رفيع التُسْتَرِيّ [ت ٢٨٣ هـ]، عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال[1]».

١٤٩١٣- عن سهل بن عبد اللَّه التُسْتَرِيّ وسُئل: كيف يتخلَّص العبد من خدعة نفسه وعدوّه؟ فقال:

«يعرف حاله فيما بينه وبين اللَّه، وبعد عرفانه بذلك يعرض نفسه علىٰ الكتاب والأثر، ويقتدي في الأشياء بالسّنة، فعلىٰ هذا الخلق من اللَّه؛ أنْ يلزم أنفسهم سبعة أشياء: فأوّلها: الأمر، والنهي وهو الفرض، ثم السنة، ثم الأدب، ثم الترهيب، ثم الترغيب، ثم السّعة، فمن لم يُلزم نفسه هذه السبعة، ولم يعمل بها،

(١) وقال الذهبي في «السير» (١٣/ ٣٣١): «شيخ العارفين، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق، قال سهل: «من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة». اهـ

لم يكمل إيمانه، ولم يتم عقله، ولم يتهنّأ بحياته، ولم يجد لذّة طاعة ربّه».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٩٠) عن التابعي الحافظ محمد بن سيرين قال: «إذا أراد اللَّه بعبد خيرًا، جعل له واعظًا من قلبه بأمره وينهاه».

وروىٰ أبو نعيم (٤٠٠٨) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك، والمسمّىٰ ربيعة الرأي أنه سئل: ما رأس للزهادة؟ قال: «جمع الأشياء من حلّها، ووضعها في حقّها»؟

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٩٤٢) عن أبي وائل شقيق بن سلمة -صاحب عبد اللَّه بن مسعود- قال للأعمش: «يا سليمان نعم الربّ ربّنا، ولو أطعناه ما عصانا».

• **وروىٰ الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٣١) عن سهل التستريّ قال:** «العقل وحده لا يدل علىٰ قديم أزليّ فوق عرش محدث، نصبه الحق دلالة وعلمًا لنا؛ لتهتدي القلوب به إليه ولا تتجاوزه، ولم يكلف القلوب علم ماهية هويّته، فلا كيف لاستوائه عليه، ولا يجوز أن يقال: كيف الاستواء لمن أوجد الاستواء؟ وإنما علىٰ المؤمن الرضىٰ والتسليم لقول النبيّ ﷺ: «**إنه علىٰ عرشه**». اهـ.

• **قلت:** روىٰ الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٨٤/ حديث (١٣٨١) قال الهيثمي في «مجمع الزَّائد» (١/ ٣٣٦) حديث (٥٢٧) كتاب العلم: «ورجاله موثّقون»، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٧٧): «إسناده جيد» عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه ﷻ للعلماء يوم القيامة إذا قعد علىٰ كرسيّه لقضاء عباده: إنيّ لم أجعل علمي وحكمي فيكم؛ إلّا وأنا أريد أن أغفر لكم علىٰ ما كان فيكم ولا أبالي**».

• **وروىٰ ابن بطة العكبريّ في «الإبانة الكبرىٰ» (٥٧٧) عن حذيفة بن اليمان** رضي الله عنهما قال: «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإيَّاك والتلوّن في الدين، فإن دين اللَّه واحد».

• **وروىٰ ابن بطة (٢٦) عن عديّ بن حاتم قال**: «إنكم لن تزالوا بخير ما لم تعرفوا ما كنتم تنكرون، وتنكروا ما كنتم تعرفون، ومادام عالمكم يتكلم بينكم غير خائف».

• **تعليق على ما مرّ من المقدمة:**

قلت: فكل ما ذكرته من بداية مقدمة الكتاب هذه، بما فيها من الآيات القرآنية وأحاديث رسول اللَّه ﷺ، هي تثبيت وتأصيل وتعريش لبنية هذا الكتاب، حتىٰ يتم النقش، الذي هو فقه ما تناوله هذا البحث، وعليه يتم التقعيد الشرعيّ لمنظومة الوعظ علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، وأعضد ذلك بالفقرة التالية:

• **كان رسول اللَّه ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة، وجملة أحاديث مهمة.**

فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم (١١)- باب ما كان النبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة كي لا ينْفروا (٦٨)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٢١) باب: الاقتصاد في الموعظة عن ابن مسعود قال: «كان النبيّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السَّآمة علينا»

• **شرح الحديث:**

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٢٠٧-٢٠٨):

«قوله: «يتخوّلهم»؛ أي: يتعهدهم، والموعظة: النصح والتذكير، وعطف العلم عليها؛ من باب عطف العام علىٰ الخاص؛ لأنّ العلم يشمل الموعظة وغيرها، وإنما عطفه لأنها منصوصة في الحديث؛ وذكر العلم استنباطًا.

قال الخطابيّ: الخائل هو القائم المتعهد للمال، يقال خال المال يخوله تخوّلًا إذا تعهده وأصلحه، والمعنىٰ: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نملّ، والتخوّن بالنون أيضًا، يقال: تخوَّن الشيء إذا تعهّده وحفظه، أي اجتنب الخيانة كما قيل في تحنّث وتأثّم ونظائرهما.

وقيل: تحوّلنا بالحاء، والمعنىٰ: يتطلب أحوالنا التي ننشط فيها للموعظة.

قوله: «علينا»؛ أي: كراهة السآمة علينا، أوْ ضمّن السآمة معنىٰ المشقة فعدّها بعلىٰ، والصلة محذوفة، والتقدير الموعظة.» اهـ.

وقال النوويّ في «شرح مسلم» (١٧/ ٣٠٠):

«وفي هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلّا تملّها القلوب فيفوت مقصودها». اهـ.

• **روىٰ مسلم في «صحيحه» في كتاب الزهد (٢٩٥٨) عن مطرّف عن أبيه قال:** أتيت النبيّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، قال: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت؟، أوْ لبست فأبليت؟ أو تصدقت فأمضيت؟**».

• **وروىٰ مسلم (٢٩٦٠) عن أنس بن مالك يقول:** قال رسول اللَّه ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثةٌ فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**».

• **روىٰ مسلم (٢٩٦٢) عن عمرو بن العاص** عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا فُتحت عليكم فارس والروم أيّ قوم أنتم؟**» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا اللَّه، قال ﷺ: «**أوغير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم علىٰ رقاب بعض**».

• **وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٩٦٥)** عن سعد بن أبي وقاص عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنّ اللَّه يُحبّ العبد التقي الغني الخفي**».

وروىٰ البزّار في «مسنده» (٣٦٩٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤٦٢٩) وقال: رواه الطبرانيّ بإسناد صحيح، وقال الهيثميّ في «مجمع الزّوائد» (١٧٩١١) كتاب الزهد: ورجاله رجال الصحيح، عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن بين أيديكم عقبةً كؤودًا[1] لا ينجو منها إلا كل مُخِفّ**».

(١) قال المنذري: الكؤود: هي العقبة الصعبة، ويقصد كل الدنيا ثم يوم القيامة حتىٰ تدخلوا الجنة بسلام.

• **روىٰ البزَّار في «مسنده» (١٦٠٩) وأبو يعلي في «مسنده» (١٩٩٩) وأورده الهيثميّ في «مجمع الزّوائد» (١٧٧٠٩) وقال: إسناده حسن، ورواه الطبرانيّ في «المعجم الأوسط» (١٦٣٨) والترمذي في «سننه» (٢٦٠١)** عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما رأيت مثل الجنّة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها**».

• **روىٰ الإمام أحمد في «المسند» (٢١١١٩-٢١١٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٢)** وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٦) حديث: (١٧٦٤٦) من كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء وقال: رواه أحمد وابنه من طرق، ورجال أحمد رجال الصحيح، عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بشّر هذه الأمّة بالسَّناء والرِّفعة والدّين والنصّر والتمْكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب**».

• **وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٦) في كتاب الرقاق، وصححه ووافقه الذهبيّ، وابن ماجه في «سننه» في كتاب الفتن باب شدة الزمان (٤٠٣٨)، والسيوطيّ في «الجامع الصغير» (٧٢٣٠) وصححه**، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لِتُنْتَقَوُنَّ ما يُنْتَقَىٰ التمر من أغفاله** -وفي رواية- **من الحُثَالَةِ، فليذهبَّن خيارُكُم، وليبقينّ شراركم، فَمُوتوا إن استطعتم**».

قال المُناويّ في «الفيض القدير شرح الجامع الصغير» (٥/ ٣٤٢):

«يعني: لتنظفنّ كما يُنظفُ التمر الجيّد من الرديء، فإذا كان كذلك، فإن كان الموت باستطاعتكم فموتوا؛ فإنّ الموت عند انقراض الأخيار خير من الحياة في هذه الدَّار» اهـ.

• **وروىٰ أحمد في «المسند» (٢١٢٠٧) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤٠٠)، حديث (١٧٧١٨) من كتاب الزهد باب في الوعظ**، وقال: رواه أحمد وإسناده حسن، من حديث أبي ذر، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة، فأمّا الأذن فَقُمْعٌ، والعين مُقرّةٌ بما**

يُوعي القلبُ، وقد أفلح من جعل قلبه واعيًا».

• **روىٰ أحمد في «المسند» (١٥٦٨٧) والطبراني في «الكبير» (٨١٣٨) وابن المبارك في «الزهد» (٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٠٧٦)، (باب مثل الدنيا)**، وقال: رواه أحمد والطبرانيّ، ورجال الطبرانيّ رجال الصحيح، عن الضحاك بن سفيان، أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «**يا ضحّاك ما طعامك؟**» قال: يا رسول اللَّه اللحم واللبن، قال: «**ثم يصير إلىٰ ماذا؟**» قال: إلىٰ ما قد علمت، قال: «**فإن اللَّه تبارك وتعالىٰ ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلًا للدنيا**».

• **وفي رواية للطبراني (٦١١٩) وأورده الهيثمي بعد هذا الحديث (١٨٠٧٧)** وقال: رواه الطبرانيّ ورجاله رجال الصحيح، عن سلمان قال: جاء قوم إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال لهم: «**ألكم طعام؟**» قالوا: نعم، قال: «**فلكم شراب؟**» قالوا: نعم، قال: «**فَتُصَفُّونَهُ؟**» قالوا: نعم، قال: «**وتبرّدُونَهُ؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنّ معادها كمعاد الدّنيا، يقوم أحدكم إلىٰ خلف بيته، فيُمسك علىٰ أنفه من نَتَنه**».

• **وروىٰ أحمد في «المسند» (٢٤٣٠٠) وأورده الهيثميّ في «مجمع الزوائد» (١٨٠٧٨) (باب الدنيا دار من لا دار له)**، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير دُويد وهو ثقة، عن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له**».

• **وروىٰ الطبراني في «الكبير» (١٢٢٣١) و«الأوسط» (٦٣٥)** قال الهيثميّ: رواه الطبراني في «الأوسط والكبير»، ورجاله وثّقوا عن ابن عبَّاس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الأمن والعافية نعمتان، مَغبون فيهما كثير من الناس**» قال الهيثميّ: قلت له حديث في «الصحيح»: «**الصحة والفراغ**».

• **وروىٰ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦١٠) قال الهيثميّ في «المَجْمَع» (١٨٠٩٩) (باب طلب الحلال والبحث عنه من كتاب الزهد)**، وقال: رواه الطبرانيّ وإسناده حسن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**طلب الحلال واجب علىٰ كل مسلم**».

• **وروىٰ أحمد في «مسنده» (٢٠٦١٧، ٢٠٦٢٤) وأورده الهيثميّ في «المجمع» (١٨١٢٨) (باب فيمن ترك شيئًا للَّه تعالىٰ)**، وقال: رواه كله أحمد بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح، قال البدوّي: أخذ بيدي رسول اللَّه ﷺ وجعل يعلّمني مما علّمه اللَّه تبارك وتعالىٰ، وقال: «**إنّك لن تدع شيئًا اتقاء اللَّه جل وعزّ إلّا أعطاك اللَّه خيرًا منه**»، وفي رواية: «**إلّا أبدلك اللَّه به ما هو خير لك منه**».

• **الوعظ حكم من الأحكام الشرعية وبيان ذلك بدليله:**

قلت: فهذا هدي رسول اللَّه ﷺ مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأمته التي هي خير أمّة أخرجت للناس، يدعوها إلىٰ اللَّه بعلم وفقه ووعي وإدراك، قال تعالىٰ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولقد عرّف العلماء علم أصول الفقه، هذا العالم الجليل فقالوا: «**العلم بالقواعد التي يُتوصّل بها إلىٰ استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية**»، وفي لفظ آخر: «**إدراك القواعد التي يتوصّل بها . . . . .**»، ولفظ ثالث: «**هو نفس القواعد الموصّلة بذاتها إلىٰ استنباط الأحكام . . . .**» فهذا تعريف علم أصول الفقه الذي هو عمود الخيمة في التكلم في دين اللَّه.

• **والأحكام الشرعية: أحكام تكليفية وهي**: الواجب الفرض، والمندوب المستحبّ، والحرام وهو الكراهية التحريمية، والكراهة التنزيهية، والمباح الجائز.

وأحكام وضعية وهي: الشروط، والأسباب، والعلل، والموانع، والصحيح، والفاسد، والعزيمة والرّخصة.

• **ويدخل في الأحكام الشرعية: الوعظ والتذكير.**

• **أمّا الوعظ**: قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨ - ١٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]، فرتّب اللَّه علىٰ الاستجابة لما وعظهم به اللَّه كل الخير، وأشد التثبيت، والاستقامة، والاستقرار علىٰ الحق، والهداية إلىٰ الصراط المستقيم، حتىٰ يصلوا إلىٰ الأجر العظيم وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار، وربط ذلك بالحكمة ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

- **وأما التذكير:**

فقد قال تعالىٰ في التذكير: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ٣-٤]، وقال تعالىٰ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [الأعلىٰ: ٩-١٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: ٤١]، وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، وقال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

- وعليه؛ فالوعظ والتذكير حكم تكليفي يشمله الفرض والواجب، وكذلك يشمله المندوب والمستحبّ، وذلك عند الامتثال له، ويشمله الحرام عند الإعراض عنه، سواء الكراهة التحريمية أو التنزيهية، ووجه ذلك ارتباطه بالمقاصد الشرعية.

• ومن وجه أخرىٰ يشمله الأحكام الوضعية، فالشرط؛ لأنه موصّل إلىٰ تبليغ أمر اللَّه ونهيه، والسبب والعلة، لأنهما يؤدّيان إلىٰ السبيل لتحقيق الأحكام الشرعية وإقامة الحجّة وبيان المحجّة، وكذلك: المانع؛ لأنه بيان للسلب والإيجاب، فكل الكتاب والسنة وعظ وتذكير، فالدِّين بين الوسائل والمقاصد، فالوسائل الوعظ والتذكير، والمقاصد مراد اللَّه من خلق العباد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

• **الوسائل والمقاصد وذكر قاعدتين:**

فقد اتفق أهل العلم علىٰ أنّ الوسائل لها أحكام المقاصد، وأما القاعدة الثانية فقد أجمعوا عليها أيضًا عند الأصوليين ونصها: «**كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**».

وهذه القاعدة قد قيّدتها علىٰ ضوء المقاصد الشرعية وزدت عليها: «**كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يكون واجبًا إلا بموافقة الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين**» أو قل: «. . . . ، **ما لم يكن هذا الواجب حرامًا أو بدعة**» فالمراد هو شرعيّة الوسيلة، ومخالفة القاعدة الشيطانية: «**الغاية تبرر الوسيلة**» فلابد إذن: من اتفاق الوسائل والمقاصد في الشرعية، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، والشريعة في الآية: الدين، والملة، والطريق والسبيل، والسنة، والمنهاج، وهذا حاصل كلام المفسرين في المراد، وهو يوافق بعضه بعضًا.

ومن هنا يكون التوافق بين القاعدتين المجمع عليها، فالأُولىٰ: «**الوسائل لها أحكام المقاصد**»، والقاعدة الثانية: «**كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ما لم يكن هذا الواجب حرامًا أو بدعة**»، لأنه بذلك لا يكون واجبًا، بل هو جُرمٌ.

• **بيان مقصدي من هذا الكتاب؟**

وأول المقاصد في هذا الأثر: وهو ما رواه الإمام الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢٧٤٧) عن التابعيّ مالك بن دينار العالم

العامل المعلم قال: «زمّرنا لكم فلم ترقصوا»، **قال أبو نعيم**: «وعظناكم فلم تتعظوا».

وهذا مقصد كليّ له عموم وشمول، قد قام عليه الدين كلّه؛ وذلك لأنّ الوعظ بلاغ في كلّ مناحي الشريعة بعراها وشعائرها وحدودها وأوامرها ونواهيها، ومن هنا أردت بيان الوعظ وصفته، فليس هو ترقيق القلوب فحسب، بل يدخل الوعظ في التوحيد والمعتقد، وفي السنة والبدعة، وفي تعليم العلوم الشرعية، وبيان الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والرشاد والغيّ، والعلم والجهل، وكل ما تستقيم به هذه الشريعة، ومن ثم أكثرت من إيراد الآيات القرآنية والأحاديث من قبل.

والمقصد الثاني: وسيطة الوعظ بين الإفراط والتفريط، فَجُلّ الوعّاظ وغالب الخطباء، قام أمرهم علىٰ الترهيب والترغيب، حتىٰ وُصفوا بأنهم لا علاقة لهم بالعلوم الشرعية، وقواعد الشريعة، ومفاتيح العلوم، والبعد عن علوم الآلة، التي تتطلب من طالب العلم الجهد والنصب والمشقة؛ مثل علم اللغة، وعلم مصطلح الحديث، وعلم أصول الفقه، ثم العلم بقواعد التفسير، والفقه وقواعده، حتىٰ أصابوا مئات الملايين من المسلمين بالانصراف عن هذه العلوم التي هي أصل هذا الدين، وعلىٰ رأسها منهج ومعتقد أهل السنة والجماعة، مثل ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ففتن هؤلاء الوعاظُ جُلَّ الأمة؛ وغالبهم مبتدعة وجهلة بأصول الدين.

• **روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٩٦٣) عن أيوب السختياني قال**: «ما أفسد علىٰ الناس حديثهم إلا القُصّاص»

ومع ذلك اجتمعت عليهم غالبية قلوب المسلمين، الذين هم عوام بسطاء، فورّط هؤلاء الوعّاظ الأمة في الثورات والضلال والهلاك المبين، وهذا أمر جلل وخطير، ولن تنجوا هذه الأمة إلا بالتعلّم والتعليم ومعرفة الهدىٰ من الضلال.

والمقصد الثالث: في هذا الأثر الذي رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٩٥٢) عن سفيان بن عيينة عن أبي حازم سلمة بن دينار قال: «إنّي لأعظ، وما أرىٰ للموعظة موضعًا، وما أريد بذلك إلّا نفسي».

ويؤكد ذلك: ما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤٠٠٧) عن ربيعة الرأي، ابن أبي عبد الرحمن أبي عثمان، شيخ الإمام مالك، قال سفيان: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا فغطّىٰ رأسه ثم اضطجع فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟!، فقال: «رياء ظاهر وشهوة خفيّة، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا».

وحق لهذا الإمام أن يبكي ويجهش بالبكاء، لأنه يعلم أنه مسئول وسيحاسب، قال تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، فإن العلماء هم الأدِلّاء والمرشدون إلىٰ سبيل اللَّه ورسوله، فهم في ثغرة عظُمْىٰ، ومنصب كبير ورفيع.

● **وكذلك كما سيأتي: من قول ربيعة الرأي في «الحلية» (٤٠٠٨)** حين سُئل: يا أبا عثمان: ما رأس الزهادة؟ قال: «جمع الأشياء من حلِّها، ووضعها في حقّها».

وكتاب الزهد -كما سيظهر بعد- ليس هو الزهد في الدنيا والرقائق القلبية فقط، بل هو في أصول الحلال والحرام، وفي ذلك بيان صفة وكنه الوعظ والرقاق والزّهد.

والمقصد الرابع: وهو بيان كتاب «حلية الأولياء» الذي يُعدّ أكبر موسوعة في الوعظ والرقاق والزهد، علىٰ منهج السلف الصالحين، فكان جُلّ كتابي خلاصة لما فيه من الزُبد في هذا الباب والإدلال إليه.

والمقصد الخامس: تناول كتاب الرقاق عند الإمام البخاريّ في «صحيحه»، والترمذي وابن ماجه، واتحادهم في أبوابه، وخلاصة ما فيها وتقريبها للقارئ ثم ربطها بالحلية.

والمقصد السادس: وهو المهم: التقعيد الشرعي في أبواب الوعظ والرقاق، والاستدلال عليها بالكتاب والسنة والإجماع، وقد جعلت هذه القواعد هي نفس آثار السلف الصالحين، لأن في كلامهم وألفاظهم علومًا جمّة، فيها العلم والفقه والبصيرة والإدراك والوعي وصحة المنهج والمعتقد، وكلامهم بلا خلاف أوْلىٰ

من كلام الخلف، فلذلك آثرت ذلك؛ لأنهم أئمة هذا الدين، ومنهم أخذت علمي، ومن فهمهم فهْمي، وكل ما فتح اللَّه علي من تصنيف كتبي، وما خطته بيدي، فالفضل كل الفضل منهم، ونحن عيال وصبيان عليهم، فجعلت هذا التقعيد كليّات تتوجّه بآثارهم الأمة إلىٰ فن الوعظ ومنهجية التأصيل فيه.

- **بيان خطّة البحث:**

فإذا كان ذلك كذلك، فلقد أقمت هذا البحث -بعد هذه المقدمة وهي جزء من الكتاب مهم- علىٰ جملة من الركائز تفرعت منها مسائل:

الركيزة الأولىٰ: فقه الوعظ والرقاق والزهد، وصفته، وصوره، والصلة بين ذلك كله، الذي هو توطئة لموضوع البحث، وتحتها جملة من الأمور.

الركيزة الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

الركيزة الثالثة: اتّفاق الأمة سلفًا وخلفًا علىٰ ضرورة الوعظ كحكم شرعي في هذا الدين.

الركيزة الرابعة: قواعد البناء الفقهيّ الشرعيّ وضوابطه في الوعظ والرقاق.

الركيزة الخامسة: الأصول والفروع وملاك الدين الآثار والاتّباع.

خاتمة المواعظ: كفىٰ بالموت واعظًا وباليقين غِنَىٰ، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول.

واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه الحكيم الخبير.

* * *

«الركيزة الأولى»
فقه الوعظ والرّقاق والزهد وصفته وصوره ولوازمه والصلة بين ذلك كله والذي هو توطئة لموضوع البحث

- **بيان الوعظ ما هو؟**

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٦/ ١٢٦):

«وعظ: الواو والعين والظاء: كلمة واحدة، فالوعظ: التخويف، والعِظة الاسم منه، قال الخليل: هو التذكير وما يرق له قلبُه». اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في «المفردات في غريب القرآن» (ص ٥٢٨):

«الوعظ زجر مقترن بتخويف، قال الخليل: التذكيّر بالخير فيما يرق له القلب، والعِظة والموعظة الاسم، قال تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]». اهـ.

وقال ابن منظور في «لسان العرب» (١٥/ ٢٤٣):

«الوعظ والموعظة: النّصح والتذكير بالعواقب، هو تذكيرك للإنسان بما يليّن قلبه من ثواب وعقاب؛ أي: موعظة وعبرة لغيرك، وفي التنزيل: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفي الحديث: «**وعلىٰ رأس الصراط واعظ اللَّه في قلب كل مسلم**» [رواه الترمذي في «سننه» (**٢٨٥٩**) وقال: حديث حسن، وأحمد في «المسند» (**١٧٦٣٤**)، والحاكم في «المستدرك» (**٢٤٥**) وصححه وقال: لا أعلم له علة، ووافقه الذهبي].

يعني: حُجَجُه التي تنهاه عن الدخول فيما منعه اللَّه منه، وحرّمه عليه، والبصائر التي جعلها فيه» اهـ.

● **ذكر حديث: «والداعي من فوق الصراط واعظ اللَّه في قلب كل مسلم».**

قلت: هذا الحديث المذكور آنفًا جزء من حديث مشهور مرفوع إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وقد أورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٥٢١١) وقال: صحيح، قال فيه ﷺ: «**ضرب اللَّه تعالىٰ مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلىٰ جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مُفتّحة، وعلىٰ الأبواب ستور مُرخاة، وعلىٰ باب الصراط داعٍ يقول: يا أيّها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تَتَعَوَّجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتَحْهُ؛ فإنّك إن فتحته تلِجْهُ، فالصراط الإسلام، والسُّوران: حدود اللَّه، والأبواب المفَتّحة محارم اللَّه تعالىٰ، وذلك الدّاعي علىٰ رأس الصراط: كتاب اللَّه، والداعي من فوق الصراط: واعظُ اللَّه في قلب كلّ مُسْلم**».

● **شرح الحديث:**

قال المُناويّ في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ٣٣٠-٣٣١):

«قوله ﷺ: «**يا أيها الناس ادخلوا الصراط**»، وفي رواية: «**استقيموا علىٰ الصراط**»، «**جميعًا ولا تتعوّجوا**»: أي: لا تميلوا عنه، عاج يعوج إذا مال عن الطريق، قوله: «**ويّحك**» زجر له من تلك الهمّة عند فتح تلك الأبواب، وهي كلمة ترحّم وتوجّع، يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها: ويحك.

قوله ﷺ: «**لا تفتحه؛ فإنّك إن تفتحه تلجه**»؛ أي: إن تدخل الباب، تقع في محارم اللَّه، قال الطيبيّ: هذا يدل علىٰ أنّ قوله ﷺ: «**أبوابٌ مُفتّحة**» أنّها مردودة غير مغلقة [قلت: كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وهذا هو البلاء الذي خَيّر فيه اللَّه تعالىٰ الإنسان فليختر ما شاء ثم الرجوع إلىٰ اللَّه]، قال الطيبيّ: ونظير هذا الحديث: قوله ﷺ: «**ألا إن لكلّ ملِك حِمَىٰ، ألَا وإنّ حِمَىٰ اللَّه محارمه، فمن رتع حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه**»، [رواه البخاري في «صحيحه» (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)]، فالسور بمنزلة الحمىٰ، وحولها بمنزلة الباب، والستور حدود اللَّه، الحدّ الفاصل بين العبد

ومحارم اللَّه، وواعظ اللَّه هو لمّة الملك في قلب المؤمن، والأخرىٰ لمّة الشيطان؛ وإنّما جعل لمّة الملك التي هي واعظ اللَّه فوق داعي القرآن؛ لأنه إنّما ينتفع به إذا كان المحلّ قابلًا؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وإنما ضرب المثل لذلك زيادة في التوضيح والتقريب للمعنىٰ المراد؛ ليصير المعقول محسوسًا، والمتخيّل مُتحقّقًا؛ فإنّ التمثيل إنما صار إليه لكشف المعنىٰ المُمَثل ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد؛ ليساعد فيه الوهم للعقل، فإنّ المعنىٰ الصّرْف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم؛ لأنّ طبعه الميل إلىٰ الحس وحبّ المحاكاة؛ ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية، وفشت في عبارات البلغاء إشارات الحكماء، قال النووي: سِرُّ هذا الحديث: أنّه أقام الصراط معنىٰ للإسلام، وأقام الدَّاعي معْنىٰ للكتاب، والدَّاعي الآخر معنىٰ للعظة في قلب كلّ مؤمن، فأنت علىٰ الصراط وهو الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وسامع النداء القائم وهو القرآن، فأنت أقمت حركاتك وسكناتك بمدبّرك وخالقك بسقوط من سواه؛ أقامك إليه به، وقمت به إليه؛ بسقوطك عنه، فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم الذي لا يخيب مَنْ قَصَدَهُ به» اهـ.

قلت: فهذه الفقرة تبيّن لك صفة الوعظ وكنهه، مع ضرب المثال بهذا الحديث لاكتمال تصوّر المراد والمقصود لغة وشرعًا.

- **وما يدريك؟ لعله يزّكى!!**

- **قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٣٩-١٤٠):**

«قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ٣-٤]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: وما يعلمك، ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ يعني: ابن أمّ مكتوم، ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: بما استدعىٰ منك تعليمه إيَّاه من القرآن والدين؛ بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه، وقيل الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ للكافر؛ يعني أنّك طمعت في أن يتزكّىٰ وجوه قريش في إسلامهم، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم، فتقربهم الذكرىٰ إلىٰ قبول الحق، وما يدريك أنّ ما طمعت فيه كائن؟ قوله:

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بما يقول ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ أي: العظة». اهـ.

● **العلاقة بين الوعظ والرّقاق، وجملة من الأحاديث:**

وفي «صحيح البخاري» (٨١) كتاب الرِّقاق، باب (١) ما جاء في الرّقاق وأن لا عيش إلّا عيش الآخرة.

٦٤١٢- عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نعمتان مَغْبُونٌ فيهما كثير من الناس: الصّحةُ والفراغُ**»

٦٤١٣- عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «**اللهم لا عيش إلّا عيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمُهَاجرة**»

● **شرح الحديث وبيان معنى الرّقاق:**

قال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٢٣٣-٢٣٦):

«قال مغلطاي: عبّر جماعة من العلماء في كتبهم بالرقاق، قلت: منهم ابن المبارك، والنسائي في «السنن الكبرىٰ»، وروايته كذلك في نسخة من رواية النسفيّ عن البخاري «الرقائق»؛ والمعنىٰ واحد، والرقاق والرقائق جمع رقيقه؛ وسمّيت بذلك لأنّ في كلّ منها ما يُحْدث في القلب رقّة، قال أهل اللغة: الرّقة الرحمة، وضد الغلظ، ويقال للكثير الحياء: رقّ وجهه استحياء، قال الراغب الأصفهانيّ: متىٰ كانت الرّقة في نفس فضدّها القسوة، كرقيق القلب وقاسي القلب، وقال الجوهريّ: وترقيق الكلام تحسينه.

[● بيان معنى الغبن وفقهه:].

«**نعمتان**»: تثنية نعمة، وهي الحالة الحسنة، وقيل: هي المنفعة المفعولة علىٰ جهة الإحسان للغير، والغبن[1]: بالسكون والتحريك [غَبْن - غبَنَ]، وقال الجوهري: هو في البيع بالسكون، وفي الرأي بالتحريك، وعلىٰ هذا فيصح كل

(١) يعني: الخداع، غبنه: غلبه ونقصه وخدعه، والغَبَنُ بالفتح: الموضع الذي يخفىٰ فيه الشيْء «المفردات» (ص٣٥٧-٣٥٨)، «المعجم الوجيز» (ص٤٤٦).

منهما في هذا الخبر، فإنّ من لم يستعملهما فيما ينبغي فقد غُبن؛ لكونه باعهما بثمن بخس، ولم يُحمد رأيه في ذلك.

قال ابن بطال: معنىٰ الحديث: أنّ المرء لا يكون فارغًا حتىٰ يكون مكفيًّا، صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص علىٰ أن لا يُغبن؛ بأن يترك شكر اللَّه علىٰ ما أنعم به عليه، ومِنْ شُكْرِه: امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرّط في ذلك فهو المغبون، وأشار بقوله ﷺ: «**مغبون فيهما كثر من الناس**» إلىٰ أنّ الذي يُوفّق لذلك قليل [يعني بمفهوم المخالفة]

قال ابن الجوزيّ: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا؛ لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك: أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحّته في طاعة اللَّه فهو المغبوط [يعني: يُحسد علىٰ نعمته تلك لأنه فاز، حسدًا شرعيًّا من الغبطة والفرح وعدم تمني زوال النعمة عنه]، ومن استعملهما في معصية اللَّه فهو المغبون؛ لأنّ الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السّقم، ولم يكن إلّا الهرم.

وقال الطيبيّ: ضرب النبيّ ﷺ للمكلف مثلًا بالتّاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الرّبح مع سلامة رأس مال، فطريقه في ذلك أنْ يتحرّىٰ فيمن يعامله ويلزم الصّدق والحِذْق لئلا يُغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي له أن يعامل اللَّه بالإيمان ومجاهدة النفس وعدوّ الدّين؛ ليربح خيري الدنيا والآخرة، وقريب منه قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣]، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس، ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الرّبح.

وقوله في الحديث: «**مغبون فيهما كثير من الناس**»، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فالكثير في الحديث في مقابل القليل في الآية، **وقال**

القاضي أبو بكر بن العربيّ: اختلف في أوّل نعمة اللَّه علىٰ العبد، فقيل الإيمان، وقيل الحياة، وقيل الصحة، والأوّل أوْلىٰ؛ فإنه نعمة مطلقة، وأما الحياة والصحة فإنهما نعمة دنيويّة، ولا تكون نعمة حقيقية إلا إذا صاحبت الإيمان، وحينئذ يُغبن فيها كثير من الناس؛ أي: يذهب ريحهم أو ينقص، فمن استرسل مع نفسه الأمَّارة بالسوء، الخالدة إلىٰ الراحة، فترك المحافظة علىٰ الحدود والمواظبة علىٰ الطاعة فقد غُبن، وكذلك إذا كان فارغًا، فإنّ المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ، فإنه ترتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجّة» اهـ.

ثم تكلم ابن حجر علىٰ الحديث الثاني والذي بوّب له بلفظ الحديث: «لا عيش إلا عيش الآخرة»، ثم قال:

«وفي هذين الحديثين إشارة إلىٰ تحقير عيش الدنيا؛ لما يعرض له من التكدير وسرعة الفناء، قال ابن المُنيّر: مناسبة إيراد حديث أنس مع حديث ابن عباس الذي تضمّنته الترجمة، أنّ الناس قد غُبن كثير منهم في الصّحة والفراغ لإيثارهم لعيش الدنيا علىٰ عيش الآخرة، فأرادوا الإشارة إلىٰ أنّ العيش الذي اشتغلوا به ليس بشيء، بل العيش الذي شُغلوا عنه هو المطلوب، ومن فاته فهو المغبون». اهـ.

ثم بوّب البخاري (٢) باب مثل الدنيا في الآخرة، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ثم روىٰ البخاري (٦٤١٥) - عن سهل قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**مَوْضِعُ سوط في الجنّة خير من الدّنيا وما فيها، ولغَدْوَةٌ في سبيل اللَّه أوْ رَوْحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها**».

قال ابن حجر: «هذه الترجمة [يعني: الباب] بعض لفظ حديث مسلم عن رسول اللَّه ﷺ: «**واللَّه ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع**» [رواه مسلم في «صحيحه» (٢٨٥٨)]؛ **قال القرطبيّ**: هذا نحو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وهذا بالنسبة إلىٰ ذاتها، وأمّا

بالنسبة إلىٰ الآخرة فلا قدر لها ولا خطر، وإنّما أورد ذلك علىٰ سبيل التمثيل والتقريب، وإلّا فلا نسبة بين المتناهي وبين ما لا يتناهىٰ، وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**فلينظر بم يرجع**»؛ ووجهه: أنّ القدْر الذي يتعلّق بالإصبع من ماء البحر، لا قدر له ولا خطر، كذلك الدنيا بالنّسبة إلىٰ الآخرة، والحاصل: أنّ الدنيا كالماء الذي يعلق في الإصبع من البحر؛ والآخرة كسائر البحر». اهـ.

ثم بوّب البخاري (٣)- باب قول النبيّ ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، ثم روىٰ البخاري - عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: أخذ رسول اللَّه ﷺ بمنكبِي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

قلت: فهذه الأبواب الثلاثة بأحاديثها تصوّر للقارئ صورة وصفة وكنه الرقائق أو الرقاق، وعلاقته بالوعظ والتذكير، وذلك لأن الوعظ -كما سبق- معناه: «التذكير بالخير فيما يرق له القلب» كذا قاله إمام اللغة الخليل، ومن ثمّ قال ابن منظور -كما مرّ- الموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، والوعظ: هو تذكيرك للإنسان بما يُليّن قلبه من ثواب وعقاب» اهـ.

فإذا كان ذلك كذلك فقد اتحدت الكلمتان: الوعظ والرقاق، فتناسجَا واكتمل بهما الوفاق في بيان المعنىٰ والمراد المقصود من الشريعة.

- **الزهد صورة من صور الوعظ والرقاق وهذا صنيع الفقهاء وأهل العلم:**

تنوّعت كلمة العلماء في كتاب الوعظ، فمنهم من يجعلها رقائق، أو رقاق أو زهد وغيره، مع أن أبوابهم فيها متحدة، فغالب المحدثين في كتب السنن يقولون كتاب الزهد، كما في «سنن ابن ماجه»، و«سنن الترمذي» كذلك، وكتاب الرقائق له أيضًا، بل جمع مسلم في «صحيحه» فقال: كتاب الزهد والرقائق، كما فعل أبو العباس القرطبيّ في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» فقال: ٣٨- كتاب الرقاق، ثم قال: ٣٩- كتاب الزهد، وكانت أبواب البخاري في «صحيحه» جامعة بين الزهد والرقاق جميعًا، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، ودليل بنية الكلمة ومعناها:

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٠):

«زهد: الزاء والهاء والدال أصل يدل علىٰ قلّة الشيْء، والزهيد: الشيء القليل وهو مُذهد: قليل المال، والمُقل فيه، وقال الخليل: الزهادة في الدنيا، والزهد في الدين خاصة». اهـ.

وقال الزاغب في «المفردات» (ص٢١٥):

«الزهيد الشيء القليل، والزاهد في هذا الشيء: الراغب عنه، والراضي منه بالزهيد أي بالقليل، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]» اهـ.

- **بيان أن الزهد أصل الدين:**

وفصل القول في معنىٰ الزهد ابن منظور في «لسان العرب» (٧/ ٦٨)، فقال:

«زهد: الزهد والزَّهادة في الدنيا ولا يقال الزّهد إلّا في الدين خاصة، والزهد: ضد الرغبة والحرص علىٰ الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها، وزهّده في الأمر: رغّبة عنه، [كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [مريم: ٤٦]، وفي حديث الزهري، وسئل عن الزهد في الدنيا فقال: «هو أن لا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره»؛ أراد: أن لا يعجز ويقصر شكره علىٰ ما رزقه اللَّه من الحلال، ولا صبره عن ترك الحرام.

وفلان يتزهد؛ أي: يتعبّد، وقوله ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، قال ثعلب: اشتروه علىٰ زهد فيه، والزهيد: الحقير، وعطاء زهيد: قليل، وازهد العطاء: استقلّه، وفي حديث خالد: كتب إلىٰ عمر رضي الله عنه: «إنّ الناس قد اندفعوا في الخمر وتزاهدوا الحد»؛ أي: احتقروه وأهانوه ورأوه زهيدًا». اهـ.

- **فقه الإمام البيهقيّ في «الزهد الكبير» وصفة الزهد:**

روىٰ البيهقيّ في «الزهد الكبير» (٢٩٨) عن أبي عثمان سعيد بن منصور أنه قال: «من أمّر السنّة علىٰ نفسه[1] نطق بالحكمة، ومن أمر الهوىٰ علىٰ نفسه نطق

(١) روىٰ هذا الأثر كذلك أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥١٧٠)وزاد: «قولًا وفعلًا نطق بالحكمة».

بالبدعة؛ لأن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]».

فأدخل البيهقي هذا الأثر في الزهد، وهو أثر عقديّ يخبر عن منهج أهل السنة والجماعة، علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

ومن ثم تصير القاعدة الكلية: «العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني»، ومردّ ذلك إلىٰ المقاصد الشرعية ومرجعيّتها إلىٰ التفقه في الدين وصحة الفهم، فهذا الأثر صورة لمسألة عقدية في صفة الزهد.

- **الترغيب في الزهد في الدنيا عند المنذري وجملة من الأحاديث من كتاب: «الترغيب والترغيب»:**

٤٦٩١- قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدنيا حلوة خضرة فمن أخذ بحقّها بارك اللَّه فيها، وربّ مُتخّوض في مال اللَّه ورسوله له النار يوم القيامة**»، قال المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن في «المعجم الكبير» (١٤٢٥٦) والسيوطي في «الجامع الصغير» (٤٢٧٢) وصححه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٦): «ورجاله ثقات».

٤٧١٢- قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي، وإنّما له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنىٰ، أو لبس فأبلىٰ، أو أعطىٰ فأفنىٰ، ما سوىٰ ذلك، فهو ذاهب وتاركه للناس**» رواه مسلم (٢٩٥٩).

٤٧٢٤- قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ**»، قال المنذري: رواه أحمد (١٩٥٨٥) ورجاله ثقات، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٧) وصححه ووافقه الذهبيّ.

٤٨٣٢- قال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، رقم (٢٣٣٦) وأحمد في «المسند» (١٧٤٠١) والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٦) صححه ووافقه الذهبيّ.

٤٨٧٠- قال ﷺ: «**صلاح أوّل هذه الأمة بالزهادة واليقين، وهلاك آخرها بالبخل والأمل**»، قال المنذري: رواه الطبراني (٧٦٥٠) وفي إسناده احتمال

للتحسين، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٤٤) و «صحيح الجامع الصغير» (٣٨٤٥).

قال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ٢٩٩-٣٠٠):

«قوله ﷺ: «**صلاح أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين**» إذْ بهما يصير العبد شاكرًا للَّه خالصًا له متواضعًا مفوّضًا مسلمًا فيتولّىٰ ويتولّاه اللَّه، وقوله: «**ويهلك**» الذي وقفت عليه في أصول صحيحه هلاك، وهو الملائم لقوله: «**صلاح**»، قوله: «**آخرها بالبخل والأمل**»، وذلك لا يظهر إلّا من فقد اليقين، ساء ظنّهم بربّهم، فبخلوا أو تلذذوا بشهوات الدنيا، فحدثوا أنفسهم بطول الأمل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، والمراد بالبخل والأمل في آخر الزمان يكون من الأسباب المؤدّية للهلاك بكثرة الجمع والحرص وحب الاستئثار بالمال المؤدّي إلىٰ الفتن والحروب والقتل وغير ذلك ذكره بعضهم.

قال الطيبيّ: أراد باليقين تيقّن أن اللَّه هو الرزّاق المتكفّل للأرزاق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]، فمن تيقن هذه في الدنيا لم يبخل؛ لأن البخيل إنّما يمسك المال لطول الأمل وعدم التيقّن، قال الحكماء: الجاهل يعتمد علىٰ الأمل، والعاقل يعتمد علىٰ العمل، وقال بعضهم: الأمل كالسراب غرّ من رآه، وخاب من رجاه، قيل: إن قصر الأمل حقيقة الزهد وليس كذلك، بل هو سبب؛ لأن من قصر أمله زهد، وتولّد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، ونسيان الآخرة، وقسوة القلب، ومن قصر أمله قل همه وتنوّر قلبه» اهـ.

- **بيان صنيع البخاريّ في «صحيحه»، وما فيه من الوعيّ:**

روىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٥٣٣) في كتاب الرّقاق، باب القصاص يوم القيامة، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أوّل ما يُقْضىٰ بين الناس بالدماء**» ورواية لمسلم: (١٦٧٨) بلفظ: «**أوّل ما يُقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء**».

هذا الحديث رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب القسامة، وباب: المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنّها أوّل ما يُقضىٰ بين الناس يوم القيامة.

قال النووي في «شرح مسلم» (١١/ ٣١٥):

«وفي الحديث تغليظ أمر الدّماء؛ وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن، قال ﷺ: «**أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته**»؛ لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين اللَّه تعالىٰ، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد» اهـ.

قلت: والحديث رواه الترمذي في «سننه» (٤١٣) وقال هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٩٦٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قلت: هذا من الإمام البخاري الفقيه: توسيعٌ لمعنىٰ الزهد وشموله للكبائر كالقتل، ولعله -واللَّه أعلم- أراد أن من الزهد اجتناب الكبائر والحرام صغيره وكبيره؛ لأنَّ المؤمن التقي الفقيه أصله الإقلال مما حرمه اللَّه ونهىٰ عنه وزجر فاعله، فلا يقتصر الزهد علىٰ الإقلال من متع الدنيا وهذا أمر مستحسن وجميل وحق وصدق.

وهذا يدخل في قول الزهري الذي فسّره ابن منظور آنفًا في معنىٰ الزهد: «هو أن لا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره».

- **أبواب البخاري في كتاب الرقاق وباب الأمل وطوله.**

مرّ في هذا السياق ثلاثة أبواب وبيان ما فيها.

ثم كان الباب: ٤- باب في الأمل وطوله، وهو باب مهم يلخّص حقيقة الدنيا وزوالها فذكر قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، ثم أورد أثرًا معلّقًا وصله أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣٥) عن عليّ رضي الله عنه قال: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوىٰ**

وطول الأمل، فأما اتّباع الهوىٰ فيصد عن الحق، وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة، ألا وإن الدنيا ارتحلت مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، بُمزحْزِحِهِ بمُباعِدِهِ».

● فروىٰ البخاري (٦٤١٨) عن أنس قال: خط النبيّ ﷺ خطوطًا فقال: «**هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذْ جاءَهُ الخطُ الأقرب**»، وأورد الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٦٠-٢٦٣) عن الطبراني وابن أبي الدنيا عن عبد اللَّه بن عمرو عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**صلاح هذه الأمة بالزّهادة واليقين، وهلاك آخرها بالبخل والأمل**» رواه الطبراني [في «الأوسط» (٧٦٥٠)، وأحمد في «الزهد» (٥٢)، و«صحيح الجامع الصغير» للألباني (٣٨٤٥)....، **قال ابن حجر**: «ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب؛ لأنّ رقّته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثّواب والعقاب وأهوال يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وقيل: «من قصر أمله قلّ همّه وتنورّ قلبه؛ لأنّه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة وقل همّه ورضي بالقليل».

[● كيف يكون طول الأمل من الفقه والدين؟!]

وقال ابن الجوزي: «**الأمل مذموم للناس إلّا للعلماء، فلولا أَمَلُهُمْ لَمَا صنّفوا ولا ألّفوا**»، وقال غيره: «الأمل مطبوع في جميع بني آدم»، وفي الأمل سرّ لطيف؛ لأنّه لولا الأمل ما تهنَّىٰ أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا؛ وإنما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يُكلّف بإزالته.....، والأحاديث متوافقه علىٰ أنّ الأجل أقرب من الأمل» اهـ.

● **نهشة الأمل:**

وروىٰ البخاري (٦٤١٧) عن ابن مسعود قال: خط رسول اللَّه ﷺ، خطًّا

مربعًا، وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخطّ خُطوطًا صغارًا إلىٰ هذا الذي في الوسط وقال ﷺ: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**».

قال ابن حجر: «الأعراض: جمع عرَض بفتحتين، وهو ما يُنتفع به له في الدنيا في الخير وفي الشرّ، والمراد بها: الآفات العارضة له، فإن سلم من هذا لم يسلم من الجميع ولو لم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته الأجل».

[• لماذا عبّر ﷺ بالنهشة؟!]

والحاصل: من لم يمت بالسبب مات بالأجل.

وفي الحديث إشارة إلىٰ الحضّ علىٰ قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل، وعبّر ﷺ بالنهّش، وهو لدغ ذات سم، مبالغة في الإصابة والإهلاك، وأخرج الترمذي في «سننه» [(٢٣٣٤)]، حديث أنس بلفظ: «**هذا ابن آدم، وهذا أجله**»، ووضع يده عند قفاه ثم بسطها فقال: «**ومن ثم أمله، وثم أجله، وإن أجله أقرب من أمله**». اهـ.

قلت: قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ثم روىٰ البخاري (٦٤٢٠) عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين: في حبّ الدنيا وطول الأمل**».

وروىٰ البخاري: (٦٤٢١) عن أنس بن مالك عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حبّ المال وطول العمر**».

هذان الحديثان تحت باب (٥): «**من بلغ ستين سنة فقد أعذر اللَّه إليه في العمر**».

- **بيان كيفية كون الوعظ والرقاق عماد في الدين وتأصيل عقدي متين:**

ثم كان الباب (٦) باب: العمل الذي يُبتغىٰ به اللَّه، فيه سَعْدٌ.

وفي هذا الباب أصل كل الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٣-١٤].

قال ابن حجر: «قوله: «**وفيه سعد**»، وسعد فيما يظهر لي هو: سعد بن أبي وقّاص، وحديثه المشار إليه في قصة الوصية وفيه قال ﷺ: «**والثلث كثير**»، وفيه: فقلت: يا رسول اللَّه أُخلّف بعد أصحابي؟ قال: «**إنّك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه اللَّه إلّا ازددت به درجة ورفعة**»». اهـ.

قلت: والحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٢٧٤٢) ومسلم (١٦٢٨) واللفظ لمسلم.

فكان في هذا الباب من الفهم والفقه والبصيرة والإدراك بما جعل كتاب الرقائق والزهد مشتملًا لعمق عقدي لا يقتصر علىٰ الوعظ الظاهر فحسب، بل جعله عماد الدين والدنيا والفلاح والصلاح، وهذا تصحيح للفهم وقاعدة في العلم، تبينّ لطالب العلم خلوص الأمر للَّه حتىٰ في الوعظ وترقيق القلوب؛ لأنّ بذلك يُنال كل خير كان، ويكفي حديث البخاري (٧١) في «صحيحه»، ومسلم (١٠٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يُرد اللَّه به خيرًا يفقّهه في الدين**».

فكانت هذه الأبواب الخمسة زُبد وعماد وأركان وأصول كتاب الزهد والرقاق، وما تفرع من هذه الأبواب تأكيد وتبيين من البخاري في باقي الأبواب، بل وكل من تكلم في الوعظ والرقاق من أهل العلم فعل ذلك، ككتاب «الزهد» للإمام أحمد، و«الزهد» للبيهقي، و«الزهد» لابن المبارك، وابن الجوزي في «صفة الصفوة»، و«صيد الخاطر»، وغيرهم.

- **ومن شمولية الدّين في رقاق البخاري: بيان القصد والمداومة على العمل:**

١٨- باب القصد والمداومة علىٰ العمل، (٦٤٦٣)- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لن يُنجي أحدًا منكم عملُهُ**»، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «**ولا أنا، إلّا أن يتغمّدني اللَّه برحمة، سدّوا وقاربوا واغدوا ورُوحوا، وشيْء من الدُّلجةِ، والقصد القصد تبلغوا**».

٦٤٦٤- عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدْخِلَ أحدكم عمله الجنة، وأنّ أحبّ الأعمال إلىٰ اللَّه أدْومها وإنْ قلّ**».

قلت: قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والإجماع علىٰ أنّ الإيمان قول وعمل ونية واتّباع السّنة، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، **فهذا الباب عند البخاري وهذه الأحاديث تبيّن في كتاب الرقاق هذا العموم الكلّي في ديمومة الأعمال الصالحة لكل مؤمن حتىٰ يتوفّاه اللَّه، فكان ذلك بصيرة بخاريّة من إمام حافظ فقيه حكيم كشفًا بهذه الأحاديث لصفة الوعظ والرقائق والزهد التي ألمّت بتعاليم الدين، أصولًا وفروعًا، وتوسيع الفهم والإدراك لألفاظ أهل العلم والجمع بين اللفظ والمعنىٰ، والرواية والدراية، وتحقيق المقاصد الشرعية من الكتاب والسّنة والإجماع، وأقوال السلف الصالحين.**

- **ومن الشمولية في الدين: «ألا كلّ شيْء ما خلا اللَّه باطل»**

روىٰ البخاري في «صحيحه» (٦٤٨٩)، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢٢٥٦) عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أصدق كلمة قاله الشاعر: «ألا كل شيْء ما خلا اللَّه باطلٌ»**، وبقية البيت كما ذكره ابن حجر: «وكلّ نعيم لا محالة زائل».

وفي رواية: «**أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد**» رواه مسلم (٢٢٥٦).

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٥٤-٣٥٥):

«أورد ابن إسحاق في السيرة فيما جرىٰ لعثمان بن مظعون مع لبيد بن ربيعة ناظم هذا البيت؛ حيث قال له لما أنشد المصراع الثاني: «وكلّ نعيم لا محالة زائل» فقال: كذبت، ثم قال له: نعيم الجنّة لا يزول، وتوجيه كل من الأمرين: أنّ كل من صدق بأن ما خلا اللَّه باطل فقد صدق ببطلان ما سواه، فيدخل نعيم الجنة،

بما حاصله: أن المراد بالباطل هنا: الهالك» اهـ.

● **وقال القرطبيّ في «المفهم لما أشكل من كتاب مسلم» (٥/ ٤٢٠):**

«الباطل هنا أراد به المُضْحلّ والمتغيّر الذي هو بصدد أن يهلك ويتلف، وهذا نحو من قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ولا شك في أنّ هذه الكلمات أصدق ما يتكلم به ناظم أو ناثر؛ لأنّ مقدمتها الكلية مقطوع بصحبتها وشمولها عقلًا ونقلًا، ولم يخرج من كليّتها شيء قطعًا إلا ما استثنىٰ فيها، وهو اللَّه تعالىٰ». اهـ.

قلت: ذكر البخاري هذا الحديث في كتاب الرّقاق (٢٩)- باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعلة، والنار مثل ذلك، وذكره البخاري أيضًا ورواه (٣٨٤١) في كتاب مناقب الأنصار، (٢٦) - باب أيّام الجاهلية.

قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٦٨):

«قوله: (**باب أيام الجاهلية**)؛ أي: ممَّا كان بين المولد النبويّ والمبعث، هذا هو المراد به هنا، ويطلق غالبًا علىٰ ما قبل البعثة ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ». اهـ.

فإذن، تقرر وتحقق بهذا الحديث بكون كتاب الزهد والرقاق يشمل مسائل المعتقد والتوحيد وهي الأمور العلْمية.

● **ومن الشمولية في كتاب الرقاق: غِنَى النفس وصلاح المعتقد والفهم:**

قال البخاري: ١٥- باب الغنىٰ غنىٰ النفس: (٦٤٤٦)- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغِنىٰ غِنىٰ النّفس**».

قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٠٠):

«ولابن حبَّان في «صحيحه» [٦٨٥] من حديث أبي ذر، قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا أباذر أترىٰ كثرة المال هو الغِنَىٰ؟**» قلت: نعم، قال: «**وترىٰ قلّة المال هو الفقر؟**» قلت: نعم، قال: «**إنما الغنىٰ غنىٰ القلب، والفقر فقر القلب**».

قال ابن بطال: معنىٰ الحديث: ليس حقيقة الغِنىٰ كثرة المال؛ لأنّ كثيرًا ممّن وسّع اللَّه عليه في المال لا يقنع مما أوتي، فهو يجتهد في الازدياد، ولا يُبالي من أين يأتيه؛ فكأنّه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغِنَىٰ غنىٰ النفس، وهو من استغنىٰ بما أوتي وقنع به ورضي، ولم يحرص علىٰ الازدياد، وإنما ألح في الطلب فكأنّه عَنِيّ.

وقال القرطبيّ: وبيانه: أنّه إذا استغنت نفسه كفّ عن المطامع، فعزّت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنىٰ الذي يناله؛ من كون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال الدنيئة لدناءة همته وبُخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل. . . . . ، وما أحسن قول القائل:

غنىٰ النفس ما يكفيك من سد حاجة ... فإنْ زاد شيئًا عاد ذاك الغنىٰ فقرًا

وقال الطيبيّ: يمكن أن يُراد بغنىٰ النفس: حصول الكمالات العلمية والعملية وإلىٰ ذلك أشار القائل: ومن ينفق السَّاعات في جمع ماله مخافة الفقر فالذي فعل الفقر» اهـ.

- **ومن الشمولية في الدين في كتاب الرقاق: ذهاب الصالحين وفساد الدنيا والدين:**

وعند البخاري (٩)- باب ذهاب الصالحين، (٦٤٣٤) عن مِرْدَاس الأسلمي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقىٰ حفالة كحفالة الشّعير أو التمر، لا يباليهم اللَّه بالةً**» قال أبو عبد اللَّه [يعني البخاري]: يقال حُفالة وحُثالة.

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٥٦-٢٥٧):

«قوله ﷺ: «**يذهب الصالحون**»، وفي رواية: «**يقبض**» بدل «**يذهب**»، والمراد: قبض أرواحهم، قال ابن التين: الحُثالة السقط من الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما، وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند

الغربلة، ويبقىٰ من التمر بعد الأكل، . . . ، وقد تقدم في المغازي [عند البخاري] بلفظ قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يعبأ اللَّه بهم شيئًا**»، وفي رواية: «**لا يبالي اللَّه عنهم**»، قال ابن بطال: في الحديث أنّ موت الصالحين من أشراط الساعة، وفي الحديث: النّدب إلىٰ الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ اللَّه به، وفي الحديث أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتىٰ لا يبقىٰ إلا أهل الشر [كما عند مسلم (٢٩٤٩) قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الناس**»]، واسْتُدِلَّ بالحديث علىٰ جواز خلو الأرض من عالم حتىٰ لا يبقىٰ إلّا أهل الجهل صرفًا؛ ويؤيده الحديث الآتي في الفتن قال ﷺ: «**حتىٰ إذا يَبْق عالم اتخذ الناس رءُوسًا جهالًا**». اهـ.

قلت: رواه البخاري (١٠٠، ٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣) فكان في هذا الباب والحديث فقه وفوائد تشمل الكثير من مسائل الدين وأصوله.

- **ومن الشمولية: التوحيد الخالص للمؤمن مع الوقوع في الكبائر وعدم خلوده في النار:**

كما في (١٢)- باب المكثرون هم المقلّون (٦٤٤٣) عن أبي ذر عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال جبريل: بشّر أمّتك أنه من مات لا يُشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة**» قلت: يا جبريل: وإنْ سرق وإن زنىٰ؟ قال: «**نعم**»، قلت: وإن سرق وإن زنىٰ؟ قال: «**نعم**»، قلت: وإن سرق وإن زنىٰ؟ قال: «**نعم**»، ومثله الحديث الذي بعده (٦٤٤٤) من قول النبي ﷺ وأبي ذر، وهو المشهور من روايات الحديث أنّه من قول النبيّ ﷺ، مع سؤال أبي ذر له ورواه مسلم أيضًا (٩٤) والبخاري في «صحيحه» (٦٤٤٤)، (٥٨٢٧).

والشاهد: أن في الحديث بيان الإيمان باللَّه بنطق الشهادتين بشروطهما مع ارتكاب الكبائر يمنع من خلود المؤمن في النار، وهذا في كتاب الرقاق والزهد، فحوىٰ علىٰ مسائل أصول الدين، فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» (٣٢٥/ ١٩٣) قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة**»، إلىٰ أن قال: «**ما يزن ذرة**» رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنىٰ

أهل الجنة منزلة، ورواه البخاري أيضًا في «صحيحه» (٤٤) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

- **ومن الشمولية: ما يُتقّى من مُحَقّرات الذنوب وَزِنَةُ مثاقيل الذَّر:**

بوبّ البخاري في «صحيحه» من كتاب الرقاق، (٣٢) - باب ما يُتَّقىٰ من محقرات الذنوب.

(٦٤٩٢) - عن أنس رضي الله عنه قال: «إنّكم لتعملون أعمالًا هي أدقّ في أعينكم من الشعرة، إنْ كنّا لنعدّها علىٰ عهد النبيّ ﷺ من الموبقات» قال أبو عبد اللَّه [البخاري] يعني بذلك المُهلكات.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٣-٣٦٤):

«التعبير بالمحقّرات وقع في حديث سهل بن سعد رفعه [يعني إلىٰ النبيَّ ﷺ أنه قال:] «**إيّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعودٍ، وجاء ذا بعود حتىٰ جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإنّ محقرات الذنوب متىٰ يُؤخذ بها صاحبها تهلكه**»، أخرجه أحمد بسند حسن [هو في «المسند» (٣٨١٨)، (٢٢٧٠٧) وصححه أحمد شاكر في «المسند»، وقال: والحديث في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٩) رواه أحمد والطبرانيّ في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمر بن داود القطان وقد وُثّق»]، وعند ابن ماجه عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال لها: «**يا عائشة إيَّاك ومحقّرات الذنوب؛ فإن لها من اللَّه طالبًا**» صححه ابن حبان [في «صحيحه» (٥٥٦٨) وابن ماجه (٤٢٤٣)].

قوله: «**هي أدقّ**» أفعل تفضيل من الدّقة بكسر الدال؛ إشارة إلىٰ تحقيرها وتهوينها، وتستعمل في تدقيق النظر في العمل والإمعان فيه؛ أي: تعملون أعمالًا تحسبونها هيّنة وهي عظيمة، أو تؤول إلىٰ العِظَمِ، «**إن كُنّا لعُدّها**»، وهي للتأكيد «**من الموبقات**»، والموبقة هي المهلكة.

قال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كبارًا مع الإصرار.

- وقد أخرج أسد بن موسىٰ عن أبي أيوب الأنصاري قال: «**إنّ الرجل ليعمل**

الحسنة فيثق بها، وينسىٰ المحقَّرات فيلقىٰ اللَّه وقد أحاطت به، وإنّ الرجل ليعمل سيئة فلا يزال منها مشفقًا حتىٰ يلقىٰ اللَّه آمنًا». اهـ.

قلت: وهذا من أجود ما يكون في غفلة الإنسان عن هذه المحقّرات المدمّرة لدين العبد وإيمانه، فإن دين الإسلام الحكيم الخبير ليزن علىٰ العباد مثاقيل الذّر، ، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

• **روىٰ البخاريّ في «صحيحه» (٦٣٠٨) كتاب الدعوات، والترمذي في كتاب صفة يوم القيامة (٢٤٩٧) عن ابن مسعود قال**: «إن المؤمن ليرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب مرّ علىٰ أنفه فقال به كهذا»، قال أبو شهاب [راوي الحديث]: بيده فوق أنفه».

• **بيان ذكر بقية أبواب الرقاق عند البخاري مُجْمَلةً سردًا:**

وبالنظر إلىٰ بقية أبواب البخاري في «صحيحه» هذا بعد الستّة الماضية:

٧- باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

٨- باب قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥-٦]، قال مجاهد: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

٩- باب ذهاب الصالحين.

١٠- بابُ ما يُتّقىٰ من فتنة المال.

١١ - باب قول النبيّ ﷺ: «**هذا المال خضرة حلوة**».

١٢- باب ما قدّم من ماله فهو له.

١٣ - باب المكثرون هم المُقلّون.

١٤- باب قول النبيّ ﷺ: «**ما يسّرني أنّ عندي مثل أُحُد هذا ذهبًا**».

١٥ - باب الغنىٰ غِنَى النفس.

١٦ - باب فضل الفقر.

١٧- باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ وأصحابه وتخلّيهم عن الدنيا.

١٨- باب القصد والمداومة علىٰ العمل.

١٩- باب الرجاء مع الخوف.

٢٠ - باب الصبر علىٰ المحارم.

٢١- باب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

٢٢- باب ما يكره من قيل وقال.

٢٣- باب حفظ اللسان من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت.

٢٤- باب البكاء من خشية اللَّه.

٢٥ - باب الخوف من اللَّه.

٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي.

٢٧ - باب قول النبيّ ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**».

٢٨- باب حُجبت النار بالشهوات.

٢٩- باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نَعْله والنار مثل ذلك.

٣٠- باب لينظر إلىٰ من هو أسفل منه، ولا ينظر إلىٰ من هو فوقه.

٣١- باب من هَمّ بحسنة أو بسيّئة.

٣٢- باب ما يُتّقىٰ من محقّرات الذنوب.

٣٣- باب الأعمال بالخواتيم وما يُخاف منها.

٣٤- باب العزلة راحة من خُلّاط السوء.

٣٥- باب رفع الأمانة.

٣٦- باب الرياء والسمعة.

٣٧- باب من جاهد نفسه في طاعة اللَّه.

٣٨- باب التواضع.

٣٩- باب قول النبيّ ﷺ: «**بُعثتُ أنا والسَّاعة كهاتين**».

٤٠- باب قول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**».

٤١- باب من أحبّ لقاء اللَّه أحبّ اللَّه لقاءه.

٤٢- باب سكرات الموت.

٤٣- باب نفخ الصور.

٤٤- باب يقبض اللَّه الأرض يوم القيامة.

٤٥- باب كيف الحشر.

٤٦- باب قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

٤٧- باب قول اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤، ٥].

٤٨- باب القصاص يوم القيامة.

٤٩- باب من نُوقش الحساب عُذّب.

٥٠- باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب.

٥١- باب صفة الجنة والنار.

٥٢- باب الصراط جسر جهنم.

٥٣- باب في الحوض.

• **قلت**: وسيأتي من أقوال السلف ما يظهر هذه الأبواب، وفوقها كذلك وبيان فقهها.

• **كتاب الزهد في «سنن ابن ماجه» وطرفًا منه:**

وبالنظر إلىٰ كتاب الرقاق أو الزهد في «سنن ابن ماجه» يُعلم إنه مماثل لأبواب الرقاق عند البخاري، مع زيادة أبواب يسيرة لا تخرج عن المعنىٰ العام، وهي

بمثابة تأكيد، منها:

باب (٢) الهمّ بالدنيا، فروىٰ ابن ماجه (٤١٠٥) قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٤٢٤): «هذا إسناد رجاله ثقات» عن عثمان بن عفّان قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من كانت الدنيا همّه، فرّق اللَّه عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتهِ من الدنيا إلّا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيّته، جمع اللَّه له أمره، وجَعَلَ غِناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**».

قلت: وهذا من أجود الأحاديث وأقواها في هذا الباب، وهو متوافق مع باب (٢) عند البخاري: باب مثل الدنيا في الآخرة، والباب الثاني: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وباب (٤): «في الأمل وطوله».

ومنها: باب الورع والتقوىٰ حديث (٤٢١٦) قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، من حديث عبد اللَّه بن عمروٍ قال: قيل لرسول اللَّه ﷺ: أيّ الناس أفضل؟ قال: «**كلّ محموم القلب، صدوق اللسان**» قالوا: صدق اللسان نعرفه، فما محمومُ القلب. قال: «**هو التقي النّقي، لا إثم فيه ولا بغيَ ولا غلَّ ولا حسد**».

قلت: وهذا أيضًا من أجود الأحاديث في هذا الباب أيضًا، ثم روىٰ ابن ماجه (٤٢١٧) وقال البوصيري: هذا حديث حسن، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أبا هريرة! كن ورعًا، تكن أعبد الناس، وكن قَنِعًا، تكن أشكر الناس، وأحبّ للناس ما تُحبّ لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تكن مسلمًا، وأقِلّ الضّحك، فإن كثرة الضّحك تُمِيتُ القلبَ**».

وروىٰ ابن ماجه (٤٢٢٠) قال البوصيري: هذا إسناد رجاله ثقات، إلّا أنه منقطع؛ أبو السَّليل لم يلق أبا ذر، عن أبىٰ ذر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّي لأعرف كلمة** -وفي رواية- **آية، لو أخذ بها الناسُ كُلُّهُم بها لكفتهم**»، قالوا: يا رسول اللَّه! أيّة آية؟ قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]،

ومنها: باب التوكّل واليقين: روىٰ ابن ماجه (٤١٦٤) والترمذي في «سننه» (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ

يقول: «**لو أنكم توكّلتم علىٰ اللَّه حق توكّله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خمَاصًا وترُوح بطانًا**».

وروىٰ ابن ماجه (٤١٦٥) قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات، عن حبّة وسواء ابني خالد قالا: دخلنا علىٰ رسول اللَّه ﷺ وهو يُعالج شيئًا، فأعنّاه عليه، فقال: «**لا تيأسا من الرّزق ما تهزّرت رءُوسكما، فإنّ الإنسان تلده أمّه أحمر، ليس عليه قِشْرٌ، ثم يرزقه اللَّه ﷻ**»، **قلت**: فقد اتفق قول الإمامين البخاريّ وابن ماجه علىٰ أبواب الزهد والرقاق.

- **الرقاق والدعوة إلى اللَّه على بصيرة بالنذير العُرْيان:**

وروىٰ البخاري (٦٤٨٢)، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢٢٨٣) واللفظ له في كتاب الفضائل (٦) باب شفقته ﷺ علىٰ أمّته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن النبيّ ﷺ قال: «**إنّ مَثَلي ومَثَل ما بعثني اللَّه به، كمثل رجل أتىٰ قومه فقال: يا قوم إنّي رأيت الجيش بعينيَّ، وإنّي أنا النذير العُرْيان، فالنَّجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأدْلجوا فانطلقوا علىٰ مُهلَتِهِمْ وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتّبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**».

وفي رواية ذكرها الهيثميّ في «مجمع الزوائد». . . . **(١٠/ ٣٩٤)** حديث **(١٧٦٩٨)** من كتاب الزهد باب جامع في المواعظ بلفظ قال ﷺ: «**مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يُسْبق ألاح بثوبه: أُتيتم أُوتيتم**»، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا ذاك**»، قال الهيثميّ: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

بوب البخاري لهذا الحديث باب الانتهاء عن المعاصي، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٤٨): «قوله: (**باب الانتهاء عن المعاصي**) أي: تركها أصلًا ورأسًا، والإعراض عنها بعد الوقوع فيها» اهـ.

قلت: كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ

عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠-٩٢].

قال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ٤٢٢):

«قوله ﷺ: «**إنّي أنا النذير العُريان**»، قال العلماء: أصله أنّ الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم، إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر من يفعل هذا، ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم، وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر، وأغرب وأشنع منظرًا. . . . .» اهـ.

قلت: ثم قال ابن حجر في «فتح الباري»:

«قوله ﷺ: «**فأدْلجوا**»؛ أي: ساروا بعد إنذارهم أوّل الليل، أن ساروا الليل كله، وقوله: «**فصبّحهم الجيش**»؛ أي: أتاهم صباحًا، «**فاجتاحهم**»؛ أي: استأصلهم، قال الطيبيّ: شبّه ﷺ نفسه بالرّجل وإنذاره بالعذاب القريب، بإنذاره الرجل قومه بالجيش المصبح، وشبّه من أطاعه من أمته ومن عصاه، بمن كذب الرجل في إنذاره ومن صدّقه». اهـ.

- **كتاب الزهد عند الترمذي وذكر طرف منه بأحاديثه:**

أما سنن الترمذي، فكذلك كرقاق البخاري، ثم كان له كتاب صفة يوم القيامة والرقائق والورع، والكتابان لا يخرجان عن كتاب البخاريّ، ومن أحاديثه:

- **ما رواه الترمذي (٢٤١٧) وقال:** حديث حسن صحيح عند أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن عُمُره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**».

- **وروىٰ الترمذي في «سننه» (٢٣٠٧) وقال:** حديث حسن صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذَّات**»، قال الترمذي: يعني «الموت»، وأورده المنذري (٤٨٥٨) بلفظ: «**أكثروا من ذكر هاذم**

الذات: يعني: الموت، فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا جزّأه»، قال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

• **وروىٰ الترمذي (٢٣١٥) وقال**: حديث حسن، قال رسول اللَّه ﷺ: «**ويلٌ للذي يُحدِّث بالحديث ليُضحك به القومَ فيكذب، ويلٌ له ويلٌ له**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٠) وقال**: حديث حسن صحيح، قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة ما سَقَىٰ كافرًا منها شربة ماء**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٢) وقال**: حديث حسن، عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إلا إنّ الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكرُ اللَّه، وما والاهُ، وعالمٌ أو متعلم**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٤) وقال**: حسن صحيح، ومسلم في «صحيحه» **(٢٩٥٦)** من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدنيا سجنُ المؤمن وجنة الكافر**»، والحاكم في «المستدرك» **(٦٥٤٥)** وصححه، ورواية أخرىٰ بلفظ **(٧٨٨٢)**: «**الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسَّنَة**».

قال النوويّ في «شرح مسلم» (١٨/ ٤٠٠):

«معنىٰ الحديث: أنّ كل مؤمن مسجون ممنوع في الدّنيا من الشهوات المحرّمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلىٰ ما أعد اللَّه تعالىٰ له من النّعيم الدائم، والراحة الخالصة من النّقصان، وأمّا الكافر فإنّه له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغّصات، فإذا مات صار إلىٰ العذاب الدائم وشقاء الأبد» اهـ.

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٥) وقال**: حديث حسن عن أبي كَبْشةَ الأنْمَاريّ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ثلاثةٌ أقسم عليهنَّ، وأحدّثكم حديثًا فاحفظوه، ما نَقَصَ مال عبد من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلّا زاده اللَّه عزًّا، ولا فتح عبد بابَ مسألة إلّا فتح اللَّه عليه باب فقر، وأحدّثكم حديثًا فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٍ رزقه اللَّه مالًا وعلمًا فهو يتَّقي فيه ربّه ويَصِلُ فيه رحمهُ،**

ويعلمُ للَّه فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه اللَّه علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النيّة يقول: لو أنّ لي مالًا لعملتُ بعمل فلان فهو بنيّته فأجْرُهما سواء، وعبدٍ رزقه اللَّه مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يَخْبطُ في ماله بغير علم لا يتقي ربَّه، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ولا يعلم للَّه فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه اللَّه مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو أنّ لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيّته فوِزْرُهُمَا سواء».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٦) وقال**: حديث حسن صحيح، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من نزلت به فاقةٌ فأنزلها بالنّاس لم تُسدَّ فاقتهُ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها باللَّه، فيوشك اللَّه له برزقٍ عاجل أو آجل**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٢٩)، وقال**: حديث حسن صحيح، عن عبد اللَّه بن بُسْر، أنّ أعرابيًّا قال: يا رسول اللَّه من خير الناس؟ قال: «**من طال عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٣٥) وقال**: حديث حسن صحيح، من حديث عبد اللَّه بن عمروٍ قال: مرَّ علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نُعالجُ خُصًّا لنا، فقال: «**ما هذا؟**» فقلنا: قد وَهَيَ فنحن نُصْلِحه، قال: «**ما أرىٰ الأمر إلّا أعْجَلَ من ذلك**»، وفي رواية لأبي داود (٥٢٢٧) قال ﷺ: «**الأمر أسرع من ذلك**»، والخص: بيت من طين وخشب.

قال المباركفوي في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٦/ ٢٠٨):

«قوله ﷺ: «**الأمر أسرع من ذلك**»، قيل: الأجل أقرب من تخرّب هذا البيت؛ أي: تُصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت، وربّما تموت قبل أن يُهدم، فإصلاح عملك أوْلَىٰ من إصلاح بيتك.

قال الطيبيّ: أي كوننا في الدنيا كعابر سبيل، أوْ راكب مستظلّ تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من انشغالك بالبناء».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٤٦) وقال**: حديث حسن، وابن ماجه في «سننه» (٤١٤١)، والبخاري في (الأدب المفرد» (٣٠٠)، وحسّنه الألباني في «الصحيحة»

(٢٣١٨)، قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٨٩) وقال**: حديث حسن صحيح، ورواه مسلم (٢٥٥٣) عن النوّاس بن سمعان، أنّ رجلًا سأل رسول اللَّه ﷺ عن البرّ والإثم، فقال النبيّ ﷺ: «**البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٤١٠) وقال حسن صحيح ورواه مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبد اللَّه الثقفي قال**: قلت: يا رسول اللَّه، حدّثني بأمر اعتصم به، قال: «**قل ربِّي اللَّه ثم استقم**»، قلت: يا رسول اللَّه، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم يقال: «**هذا**».

وفي رواية مسلم بلفظ: «**قل آمنت باللَّه ثم استقم**».

• **وروىٰ الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٦) عن عائشة قالت**: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من التمس رضىٰ اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه وأرضىٰ الناس عنه، ومن التمس رضىٰ الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس**».

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٢٨٤-٢٨٥):

«قوله ﷺ: «**من التمس**»؛ أي: طلب «**رضا اللَّه بسخط الناس**» السّخط والمسخَط الكراهة للشيء وعدم الرضا به «**كفاه اللَّه مؤنة الناس**»؛ لأنّه جعل نفسه من حزب اللَّه، وهو لا يخيب مَنِ التجأ إليه، أَلَا إنّ حزب اللَّه هم المفلحون «**وكله اللَّه إلىٰ الناس**»؛ أي: سلط اللَّه الناس عليه حتىٰ يؤذوه ويظلموا عليه» اهـ.

وقال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣١٨):

«أي: من طلب رضاه في شيْء يسخط الناس عليه بسببه «**كفاه اللَّه مؤنة الناس**»؛ أي: مؤنة شرّهم من الظلم عليه والإساءة إليه «**ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه وكله اللَّه**»؛ أي: خلاه وترك نصره ودفعه «**إلىٰ الناس**»، وهذه وصية

جامعة لجميع الناس، يعني: إذا عرض له أمر في فعله رضا اللَّه وغضب الناس أو عكسه، فإن فعل الأول رضي اللَّه عنه ودفع عنه شرّ الناس، وإن فعل الثاني وكله اللَّه إلىٰ الناس، يعني: سلط عليه الناس حتىٰ يؤذوه ويظلموا عليه، ولم يدفع عنه شرّهم في النهاية» اهـ.

• **وروىٰ الترمذي (٢٣٧٩) وقال**: حديث حسن صحيح، والبخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠) عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يتبع الميّتَ ثلاث، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحدٌ، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**».

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذيّ» (٦/ ٢٤٧):

«قوله ﷺ: «**يتبع الميت**»؛ أي: إلىٰ قبره «**ثلاث**»؛ أي: أنواع الأشياء، «**فيرجع اثنان**»؛ أي: إلىٰ مكانهما وحده، «**ويبقىٰ واحد**»؛ أي: لا ينفك عنه، «**يتبعه أهله**»؛ أي: أولاده وأقربائه وأهل صحبته ومعرفته، «**وماله**»: كالدَّابة والخيمة [وما يملكه من المنقولات والعقارات وغيرها]، قال الطيبيّ: اتباع الأهل علىٰ الحقيقة، واتباع المال علىٰ الاتساع، فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من تجهيزه وتكفينه ومؤنه الغسل والدفن، فإذا دُفِن انقطع تعلقه بالكلية، وقوله: «**وعمله**»؛ أي: من الصلاح وغيره» اهـ.

• **وروىٰ الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد في «المسند» (١٤١٢) وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣٩٧٨) وقال**: رواه البزَّار بإسناد جيد، عن الزبير بن العوام عن النبيّ ﷺ قال: «**دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشَّعَرَ، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّىٰ تحابُّوا، أفلا أنبئكم بما يُثبّتُ ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم**».

قال المباركفوري في «التحفة» (٦/ ٢٧١):

«قوله ﷺ: «**دبّ إليكم**»؛ أي: سَرَىٰ بخفية، «**الحسد**»؛ أي: في الباطن، «**والبغضاء**»؛ أي: العداوة في الظاهر، ورفعهما علىٰ أنّهما بيان للداء، أو بدل،

وسمّيا داءً لأنهما داء القلب، «**هي الحالقة**»؛ أي: البغضاء الحالقة، وهو أقرب مَبْنَىٰ ومعنىٰ، أوْ كل واحدة منهما «**لا أقول تحلق الشَّعَرَ**»؛ أي: تقطع ظاهر البدن، فإنه أمر سهل، «**ولكن تحلق الدين**»، وضرره عظيم في الدنيا والآخرة، قال الطيبيّ: أي أنّ البغضاء تذهب بالدين كالموسَىٰ تذهب بالشعر، ولأن البغضاء أكثر تأثيرًا في ثُلْمة الدين، وإن كانت البغضاء نتيجة للحسد». اهـ.

• **وروىٰ الترمذي (٢٥٢١) وقال**: حديث حسن، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٤) وصححه ووافقه الذهبيّ، وأحمد في «المسند» (١٥٥٥٤) عن أنس الجهنيّ رضي الله عنه، أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أعطىٰ للَّه، ومنع للَّه، وأحب للَّه، وأبغض للَّه، وأنكح للَّه، فقد استكمل الإيمان**»، وفي رواية: «**فقد استكمل إيمانه**».

قال المباركفوري في «التحفة» (٦/ ٣٨٨):

«قوله ﷺ: «**ومن أعطىٰ للَّه، وأحب للَّه. . . .**» إلخ، وكذلك سائر الأعمال، فتكلم وسكت للَّه، وأكل وشرب للَّه، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فقد أكمل إيمانه» اهـ.

• **فقد روىٰ الترمذي (٢٥١٦) وقال**: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٢٦٦٩) عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول اللَّه ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إنّي معلمك كلمات: احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا أن يضرّوك بشيْء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف**».

قال المباركفوري في «التحفة» (٦/ ٣٨٤):

«قوله ﷺ: «**احفظ اللَّه**» في أمره ونهيه، «**يحفظك**» في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبىٰ من أنواع العقاب والدّركات، «**احفظ اللَّه تجده تُجاهك**» قال الطيبيّ: راع حق اللَّه وتحرّ رضاه تجده تُجاهك؛ أي: مقابلك وحذاءك، أي: احفظ حق اللَّه تعالىٰ حتىٰ يحفظك اللَّه من مكاره الدنيا والآخرة، «**إذا سألت**»؛ أي: أردت السؤال، «**فاسأل اللَّه**»، وحده؛ لأن غيره غير قادر علىٰ

الإعطاء والمنع، ودفع الضرر وجلب النفع، «**وإذا استعنت**»؛ أي: أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة، «**فاستعن**» فإنه المستعان وعليه التكلان، «**رفعت الأقلام وجفّت الصحف**»؛ أي: كُتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات، ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر؛ فعبّر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة؛ تشبيهًا بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابه» اهـ.

- **قول الناس في صفة الزهد؟**

روىٰ أبو نعيم «حلية الأولياء» (١٣٨٦١، ١٣٩٣٦) عن سليمان الداراني قال: «اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك الناس، ومنهم من قال في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، وأنا أذهب إلىٰ أنّ الزّهد في ترك ما يشغلك عن اللَّه، ليس الزّاهد من ألقىٰ غمّ الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقىٰ غمّها وتعب فيها لآخرته».

قلت: وفي خلاصة هذه الركيزة الأولىٰ بيان منهجية الوعظ والرقاق بجملة كبيرة من الأحاديث مع ذكر شرحها وما فيها من الفقه والفهم والمعنىٰ المقصود، وهي برمّتها أدلة صحيحه صريحة، رواية ودراية، علىٰ الاستدلال علىٰ فقه الوعظ والرقاق والرقائق والزهد، وما تحتويه هذه الكلمات الثلاث من العلم لغة وشرعًا، وبهذه الركيزة أقعد القواعد الشرعية الاستدلالية من أدلة الأحكام، فذكرت هنا سنة رسول اللَّه ﷺ، وفي الركيزة الثانية ذكر جملة من الآيات القرآنية مع تفسيرها وبيان معانيها، وقد سردت نصها في مقدمة هذا الكتاب تمهيدًا وتوطئة مجملًا.

- **فما بال هذا الحديث؟!**

فقد روىٰ أحمد في «المسند» (**١٧٦٩٢**)، والبخاري في «الأدب المفرد» (**٢٩٩**) والحاكم في «المستدرك» (**٢١٣٠**) وصححه ووافقه الذهبيّ، عن عمرو بن العاص، قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّي أريد أن أبعثك علىٰ جيش فيسلّمك اللَّه ويغنّمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**»، فقال عمرٍو: قلت: يا رسول اللَّه ﷺ! ما أسلمت من أجل المال، ولكنّي أسلمت رغبةً في الإسلام، وأن أكون مع

رسول اللَّه ﷺ، فقال: «**يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح**».

قلت: وليس في هذا الحديث تعارض بين ما مرّ من الأحاديث؛ فإن المال يقوم عليه كل شيْء في هذا الدنيا، ولا غنىٰ للناس عنه، ولكن ظاهر الحديث تقييد صفة المال وصاحب المال، فمال صالح جاء من حلّه ووضع في حلّه، ورجل تقي يفقه الحلال والحرام، فيوضع هذا المال في مصالح المسلمين، وفي الدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة، فهو مال في اللَّه وللَّه.

* * *

«الركيزة الثانية»
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]

قال القرطبيّ في «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٢٧-٢٢٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] يعني: تمم الحجة عليهم؛ أي: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: أذكركم وأحذّركم سوء عاقبة ما أنتم فيه ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بكلمة واحدة مُشتملة علىٰ جميع الكلام، تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله.

قال مجاهد: هي لا إله إلا اللَّه، وهذا قول ابن عباس والسّدي، وعن مجاهد أيضًا: طاعة اللَّه، وقيل القرآن؛ لأنّه يجمع كلّ المواعظ، وقيل: وتقديره بخصلة واحدة. ثم بيّنها بقوله تعالىٰ: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ وهذا القيام معناه: إلىٰ طلب الحق، لا القيام الذي هو ضد القعود، وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؛ أي: لوجه اللَّه والتقرب إليه، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي: وُحْدَانًا ومجتمعين، قاله السُّدّيّ، وقيل: منفردًا برأيه ومشاورًا لغيره، وهذا قول مأثور.

وقال القُتبِيّ: مناظرًا مع غيره ومفكّرًا في نفسه، وكُلّه متقارب، ويحتمل رابعًا: أنّ المَثْنَىٰ عمل النهار، والفرادىٰ عمل الليل؛ لأنه في النهار مُعانٌ وفي الليل وحيد، قاله الماورديّ، وقيل: إنّما قال تعالىٰ: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؛ لأنّ الذهن حُجّة اللَّه علىٰ العباد وهو العقل، فأوفرهم عقلًا وأوفرهم حظًّا من اللَّه، فإذا كانوا فرادىٰ كانت فكرة واحدة، وإذا كانوا مثنىٰ تقابل الذهنان فتراءىٰ من العلم لهما ما أضعف علىٰ الانفراد؛ واللَّه أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ الوقف عند أبي حاتم وابن

الأنباريّ علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ وقيل: ليس هو بوقف؛ لأن المعنىٰ: ثم تتفكروا هل جرّبتم علىٰ صاحبكم كذبًا، أوْ رأيتم فيه جِنّة، أوْ في أحواله من فساد، أوْ اختلف إلىٰ أحد ممن يدعي العلم بالسحر، أو تعلَّم الأقاصيص، وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون علىٰ معارضته في سورة واحدة؟! إذن عرفتم بهذا الفكر صدقه، فما بال هذه المعاندة؟!، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[• ذكر حديث في «الصحيحين» مرتبط بالآية:]

وفي «صحيح مسلم» [٢٠٨] عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول اللَّه ﷺ حتىٰ صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه؟**» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**»، فاجتمعوا إليه فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصَدّقيّ؟**» قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» قال: فقال أبو لهب: تبًّا لك؟ أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال: فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥]، وقد تبّ». اهـ

قلت: والحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٤٨٠١) باب قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] كتاب تفسير القرآن، ومعنىٰ: ﴿وَتَبَّ﴾ خَسِرَ وهلك. قال الفرّاء: «التبُّ الأول: دعاء، والتبّ الثاني: خبر، كما يقال: أهلكه اللَّه وقد هلك»، «الجامع» (٢٠/ ١٧٢).

• سرد جملة من الآيات وبيان تفسيرها:

وقال أبو عبد اللَّه في «جامعه» (١/ ٣٥٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]، قال الخليل: الوعظ والتذكير بالخير فيما يرق له القلب، والموعظة من

الاتعاظ والانزجار، والوعظ: التخويف، قال ابن عطية: واللفظ يعم كل مُتقٍ من كل أمة.

وقال الزجاج: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأمة محمد ﷺ، أن ينتهكوا من حُرَم اللَّه جل وعلا، ما نهاهم عنه؛ فيصيبهم ما أصاب أصحاب السبت إذا انتهكوا حُرَم اللَّه في سَبْتِهم». اهـ

قلت: وهذه من أعظم المواعظ وأشدها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٦١):

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: لعبرة، ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: لُبّ يَعِي به، وقال مجاهد: عقل، ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه، وتعقّله بقلبه وتفهّمه بلُبّه، وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ يعني: لا يحدّث نفسه بغيرهن ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وقال: شاهد بالقلب، وقال الضحّاك: العرب تقول: ألقىٰ سمعه: إذا استمع بأذنيه وهو شاهد، يقول: غير غائب، وهكذا قال الثوري وغير واحد». اهـ

قلت: ومثله قوله تعالىٰ: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٣٤):

«أي: ويفهم هذه النعمة، وتذكرها أذن واعية، وقال ابن عباس: حافظة سامعة، **وقال قتادة: عقلت عن اللَّه فانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه**، وقال الضحاك: سمعتها أذن ووعت؛ أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام فيمن فهم ووعىٰ». اهـ

● وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٣٥٣):

«يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسّرات، وخبرٌ عن الأمم الماضية، وما

حلّ بهم في مخالفتهم أوامر اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: زاجرًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن اتقىٰ اللَّه وخافه». اهـ

- **الدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة وبيان آية وتفسيرها:**

قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال شيخ المفسّرين ابن جرير الطبري في «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (١٤/ ٢٠٠-٢٠١):

«يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ٱدْعُ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربّك بالدعاء إلىٰ طاعته ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يقول: إلىٰ شريعة ربّك التي شرعها لخلقه وهو الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ يقول: بوحي اللَّه الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يقول: وبالعبر الجميلة، التي جعلها اللَّه حجّة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها؛ أن تفصح عمَّا نالوا به عرضك من الأذىٰ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربّك.

[٢١٩٢٥] حدثني . . . ، عن مجاهد قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أعرض عن أذاهم إيَّاك». اهـ

قلت: وما أجمل وأحسن ما قاله مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد بيَّن المعنىٰ المراد في الصبر علىٰ الدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة، في خِضَمّ سُبُل جلّها أذًىٰ وأضرارٌ وبلاء وفتن ممن تدعوهم بها إلىٰ اللَّه؛ إذ هي علىٰ نقيض قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فلا يلقىٰ الداعية البصير من الناس إلا التعب والهم والغمّ !!!

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ

أَسَفًا﴾ [الشعراء: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. وزاد ابن كثير علىٰ كلام ابن جرير في تفسير آية النحل (٤/ ٣٨٨) فقال ابن كثير: «قال ابن جرير: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: وهو ما أنزله عليك من الكتاب والسنة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بما فيه من الزّواجر والوقائع بالناس ذكّرهم بها؛ ليحذروا بأس اللَّه تعالىٰ، وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم مُناظرة وجدال؛ فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فأمره اللَّه تعالىٰ بلين الجانب، كما أمر موسىٰ وهارون عليهما السلام؛ حين بعثهما إلىٰ فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]؛ أي: قدّم علم الشقيّ منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ وفرغ منه؛ فادعهم إلىٰ اللَّه، ولا تذهب نفسك علىٰ من ضل منهم حسرات؛ فإنه ليس عليك هداهم؛ إنّما أنت نذير، عليك البلاغ، وعلينا الحساب، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، و﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ». اهـ

- **ذكر آية ثالثة وتفسيرها:**

- وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

قال ابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ١٥٣):

«ومعنىٰ الكلام: وجاء في هذه السورة [هود] الحق، مع ما جاءك في سائر سور القرآن، أوْ إلىٰ ما جاءك من الحق في سائر سور القرآن؛ لا أن معناه: وجاءك في هذه السورة الحق دون سائر سور القرآن.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ يقول: وجاءك موعظة تعظ الجاهلين باللَّه، وتُبيّن لهم عِبَرَه؛ مِمَّن كفر به وكذّب رسله، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: وتذكرة تذكّر المؤمنين باللَّه ورسله؛ كي لا يغفلوا عن الواجب للَّه عليهم». اهـ

• وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٢٨):

«أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به، وتركوا ما ينهون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من مخالفة الأمر وارتكاب النهي، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ علىٰ الحق، وقال السدّي: وأشد تصديقًا، ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ أي: من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة». اهـ

وقال ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ١٩٠):

«قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ يعني: ما يذكرون به من طاعة اللَّه، والانتهاء إلىٰ أمره ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجل دنياهم وآجل معادهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ وأثبت لهم في أمورهم، وأقوم لهم عليها؛ وذلك أن المنافق يعمل علىٰ شك، فعمله يذهب باطلًا، وغناؤه يضمحل فيصير هباءً، وهو بشكّه يعمل علىٰ ضعف، ولو عمل علىٰ بصيرة، لاكتسب بعمله أجرًا، ولكان له عند اللَّه ذخرًا، وكان عمله الذي يعمل أقوىٰ لنفسه وأشد تثبيتًا لإيمانه بوعد اللَّه علىٰ طاعته وعمله الذي يعمله». اهـ

• **إنّ هذه موعظة ومودّع:**

فقد روىٰ أبو داود في «سننه» (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢-٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩، ٣٣٢) وصححه ووافقه الذهبيّ، من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول اللَّه ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنّ هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا يا رسول اللَّه؟ قال: «**أوصيكم بتقوىٰ اللَّه، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد حبشيّ كأن رأسه زبيبة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة**

ضلالة، وكل ضلالة في النار»، وزاد ابن ماجه: «**فإنّما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قِيدَ انقاد**».

قال السّندي في «شرح ابن ماجه» (١/ ٣١-٣٢):

قوله: «**وجلت**» كسمعت، أي: خافت، وقوله: «**ذرفت**»، أي: دمعت وسالت، وفي إسناده إلىٰ العيون مع أنّ السائل دموعها مبالغة، والمقصود: أنّ الموعظة أثّرت فيهم ظاهرًا وباطنًا، وقوله: «**موعظة مُوَدّع**» اسم فاعل أوْدَع؛ أي: المبالغة تدل علىٰ أنك تودّعنا، فإنّ المودّع عند الوداع لا يترك شيئًا مما يهتم به إلّا ذكره، وقوله: «**فماذا تعهد إلينا؟**» أي: فبأي شيء توصينا؟ . . . ، قوله: «**فإنّ المؤمن**» أي: شأن المؤمن ترك التكبّر والتزام التواضع، فيكون المؤمن «**كالجمل الأنِفِ**» أي: الذي جُعل الزمام في أنفه فيجرّه من يشاء من صغيرٍ وكبير إلىٰ حيث يشاء «**حيثما قيد انقاد**» أي: سبق إلىٰ ما أُمِرَ به». اهـ

• **قلت**: وإنما ذكرت شرح ما سبق دون الحديث، لكوني ذكرته في أكثر من كتابٍ مشروحًا، وآخرها كتابي: «**المنتقَىٰ العلمي من مقدمة سنن الدارمي وتعليقه المنهجي**»؛ إذْ الشاهد ممَّا ذكرته آنفًا؛ وهو محل الشاهد في هذا الكتاب، والاستدلال به علىٰ أنّ النبيّ ﷺ كان يعظ الصحابة وأنّ هذه سُنّته القولية والفعلية، وكذلك التقريرية.

وقد ذكرت في مقدمة الكتاب حديث الصحيحين عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «كان النبيّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمةعلينا».

ومرّ شرح الحديث مُفصّلًا.

• **وفي خلاصة هذه الركيزة الثانية** بيان الآيات التي يُسْتدلّ بها علىٰ حُجّية منظومة الوعظ والرقاق، والبرهان علىٰ كون الموعظة حكمًا شرعيًّا، لها دليلها من الكتاب، وفي الركيزة الأولىٰ دليلها من سنة رسول اللَّه ﷺ، وكذلك في مقدمة الكتاب، بقي الاتفاق والإجماع علىٰ ذلك، تمهيدًا بهذه الأصول الثلاثة للتقعيد الشرعي: الكتاب والسنة والإجماع، فإليك الركيزة الثالثة

* * *

«الركيزة الثالثة»
اتّفاق الأمة سلفًا وخلفًا على ضرورة الوعظ كحكم شرعيّ في هذا الدين

• **بيان إجماعات في الباب من كتاب «الإقناع في مسائل الإجماع»:**

قال الحافظ أبو الحسن بن القطان في كتابه «الإقناع في مسائل الإجماع» (١/ ٦٤-٦٨):

«**٢٢٩**- وأجمع أهل الإسلام جنّهم وإنسهم في كل زمان، وبكل مكان إجماعًا صحيحًا علىٰ أنّ القرآن الذي أنزله ﷻ علىٰ رسوله ﷺ حقّ لازم لكل بشر اتباعه». اهـ

• **قلت**: قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فهذا أمرٌ من اللَّه إلىٰ رسوله بوجوب الدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة الجميلة، ثم هو أمر إلىٰ علماء الأمة، وهذا الإجماع يقرر أن الموعظة حق لازم لكل بشر اتباعه، وهو عموم مخصوص لكل داعية إلىٰ اللَّه في الدعوة إليه، وعموم كلّي في كل الخلق إيمانًا وتصديقًا وقولًا وعملًا ومعتقدًا وإخلاصًا وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• وقال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وهذا أمر للرسول ولورثة الرسول، وهم أهل العلم خلفاء الأنبياء وحملة الكتاب والسنة، والموقّعون عن ربّ العالمين، القائمون بدينه، المبلّغون رسالته، والموضحون نهجه وطريقه وسبيله، المبشّرون والمنذرون، فهذا واجب لازم للدعاة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة، فهم سالكو مثل ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه الكرام، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإجماع الأمة سلفًا وخلفًا علىٰ إنكار المنكر

والأمر بالمعروف ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا.

• وأصل الدعوة البلاغ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهذا أمر من اللَّه إلىٰ رسوله، ثم إلىٰ خلفائه ووارثيه من أهل الحل والعقد، والموعظة من صور البلاغ بلا خلاف، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومرَّ في الركيزة الثانية معنىٰ الآية: لا إله إلّا اللَّه، فأعظم وأكبر موعظة شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وهذا هو الوجوب الأعلَىٰ سلفًا وخلَفًا.

وهذا الإجماع المذكور آنفًا حقّ لازم لوارثي الأنبياء.

• **ثم قال أبو الحسن**: «٢٤٠- وأجمع أهل الإسلام كلّهم جنّهم وإنسهم، في كل زمان وبكل مكان، أنّ السنة واجب اتّباعها.

٢٤١- واتفقوا أنّ كلام رسول اللَّه ﷺ إذا صح أنّه كلامه بتيقّن، فواجب اتباعه». اهـ

قلت: وقد مرّ في الركيزة الأولىٰ من عشرات الأحاديث الصحيحة، من السنن القولية والفعلية، وكل ما كان من رقاق البخاري، والترمذي، وابن ماجه، والإجماع الثاني هنا حقّ لازم وجوبه، ويكفي من الأحاديث المذكورة حديث «**النذير العريان**»، وحديث البخاري في «صحيحه» (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤) واللفظ له، قال ﷺ: «**يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أغني عنك من اللَّه شيئًا**»، وكذلك مع الحديث قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

• **ذكر حديث في المسألة عند مسلم في «صحيحه»:**

• **وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٤٩) قال رسول اللَّه ﷺ**: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، وهذا الحديث إجماع وعموم كلّيّ، وحديث: «**واعظ اللَّه في قلب كل مسلم**»، وحديث: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وهو أمرٌ من رسول اللَّه ﷺ لنجاة كل مؤمن عاقل بالإجماع، وحديث: «**كن ورعًا**»، وحديث

«**أكثروا من ذكر هاذم اللذّات**»، وحديث: «**قل آمنت باللَّه ثم استقم**»، وحديث «**احفظ اللَّه يحفظك**».

فإجماع الباب حقّ لازم بسنة رسول اللَّه ﷺ لكل مسلم عاقل.

ثم قال أبو الحسن بن القطان: «٢٦٢- وأجمع الجمهور الأعظم أنّ الإجماع من علماء الإسلام حجّة لازمة وحق مقطوع به لا يسع خلافه.

٢٦٣- والاتفاق علىٰ لزوم الجماعة من الجميع، ولا مخالف في ذلك». اهـ

- **الوعظ والرقاق هو سنة صحابة رسول اللَّه ﷺ واتفاقهم على ذلك سلفًا وخلفًا، ومَنْ بعدهم سائرون على نهجهم وهديهم:**

وبرهان ذلك، هذه الموسوعة الأثرية للإمام أبي نعيم الأصفهاني في كتابه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» جمعت (١٥٧٩٠) من الأحاديث المرفوعة والموقوفة من كل طبقات العلماء، وجلّها آثار موقوفة، وهي موسوعة من أشمل المصنفات في هذا الباب، لاسيَّما الوعظ والرقاق والزهد.

ولقد قرأتها كلها مرَّات واستمتعت بها جدًّا جدًّا، وتعلّمت منه جدًّا، وبالتتبع والاستقراء بمواعظ الصحابة والسلف الصالحين أنه ما منهم من أحد إلا وباشر الوعظ والرقاق قولًا وفعلًا، هذا لا خلاف فيه ألبتّة.

وأما «مصنّف ابن أبي شيبة» ففيه من الوعظ والرقاق الآلاف، وعدد آثاره (٣٩٠٩٨)، ولكن لما كان مصنفه قائمًا علىٰ الكتب والأبواب الفقهية، وكذلك مصنف عبد الرزّاق (٢١٠٣٣)، علىٰ الأبواب الفقهية، فكان معظمها كذلك؛ فتميزت «حلية الأولياء» بالمواعظ علىٰ الخصوص، ولعلّي أذكر من ذلك أثرًا أو أثرين فأكثر لبعض السلف والصحابة الكرام، وأكتفي بـ«حلية الأولياء» إلا بزيادة من غيرها قليلًا.

- **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه:

- **الوحا الوحا والنجَا النجا:**

٨٠- عن عبد اللَّه بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي اللَّه تعالىٰ عنه فقال:

«أما بعد، فإنّ أوصيكم بتقوىٰ اللَّه، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تُخلوا الرغبة والرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن اللَّه تعالىٰ أثنىٰ علىٰ زكريا وعلىٰ أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ثم اعلموا عباد اللَّه، أنّ اللَّه تعالىٰ قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ علىٰ ذلك مواثيقكم، واشترىٰ منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب اللَّه فيكم لا تفنىٰ عجائبه، ولا يُطفأ نوره، فصدّقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة؛ فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد اللَّه أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل اللَّه فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلّا باللَّه، فسابقوا في مُهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، فيردكم إلىٰ أسوأ أعمالكم، فإنّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا، النجا النجا، إنّ وراءكم طالب حثيث، أمره سريع».

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٤٢):

«في حديث أبي بكر: «الوَحَا الوَحَا» أي: السرعة السرعة، يقال: توحّيت توحّيًا إذا أسرعت، وهو منصوب علىٰ الإغراء». اهـ

- **عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

- **زنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا:**

١٢٣- عن عامر الشعبيّ قال: كتب عمر إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما، قال: «من خلصت نيّته كفاه اللَّه تعالىٰ ما بينه وبين النّاس، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم اللَّه من قلبه، شانه اللَّه عز وجل، فما ظنك في ثواب اللَّه في عاجل رزقه، وخزائن رحمته، والسلام».

١٢٦- عن عامر الشعبي قال: قال عمر: «واللَّه لقد لان قلبي في اللَّه حتىٰ لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي في اللَّه حتىٰ لهو أشد من الحجر».

١٣٥- قال عمر بن الخطاب: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيّنوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]».

- **عثمان بن عفّان** رضي الله عنه:

- **لو أنّي بين الجنة والنار لاخترت أن أكون رمادًا:**

١٨٢- قال عثمان: «لو أنّي بين الجنة والنار، ولا أدري إلىٰ أيّتها يُؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم أيتها أسير».

١٨٤- قال عثمان: «وايم اللَّه ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، وما ازددت للإسلام إلّا حياء».

١٨٦- عن هانئ مولىٰ عثمان قال: «وكان عثمان إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبل لحيته».

- **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه:

- **ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن أن يكثر عملك:**

٢٣٢- قال علي بن أبي طالب: «كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوىٰ، وكيف يقل عمل يُتقبل؟».

٢٣٣- عن علي قال: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك، ويعظم حلمك، وأن يتباهىٰ الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت اللَّه، وإنْ أسأت استغفرت اللَّه، ولا خير في الدّنيا إلّا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقلّ عمل في تقوىٰ، وكيف يقل ما يُتقبل؟».

٢٣٨- عن عليّ قال: «ألا إنّ الفقيه كل الفقيه الذي لا يُقنّط الناس من رحمة اللَّه، ولا يؤمنّهم من عذاب اللَّه، ولا يرخّص لهم من معاصي اللَّه، ولا يدع القرآن رغبةً عنه إلىٰ غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبّر فيها».

٢٥٦- عن علي بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت عليًّا وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول: «من يشتري منّي هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول اللَّه ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعْته».

- **إنّي فقأت عين الفتنة:**
- **وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنّف» (٣٨٨٨٩) عن عليّ بن أبي طالب قال:**

«إنّي أنا فقأت عين الفتنة، إنّ الفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدْبرت أسفرت، وإنّما تحوم الفتن كحوم الرياح يصبن بلدًا ويحطئن آخر، فانصروا أقوامًا كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين تُنصروا وتؤجروا، ألا إنّ أخوف الفتنة عندي عليكم، فتنة عمياء مظلمة، خصّت فتنتها وعمّت بليّتها، أصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ من عَمِيَ عنها، يظهر أهل باطلها علىٰ أ هل حقّها، حتىٰ تملأ الأرض عدوانًا وظلمًا، وإنّ أوّل من يكسر غِمْدها ويضع جبروتها وينزع أوتادها اللَّه رب العالمين».

- **عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:**
- **إنّي لأخشى أن يكون قد عجلت لنا الدنيا:**
- **روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء»:**

٣١٨- عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جدّه عبد الرحمن بن عوف، أنه أُتي بطعام أحسبه كان صائمًا، فقال عبد الرحمن بن عوف: «قتل حمزة فلم نجد ما نكفّنه فيه وهو خير مني، وقتل مصعب بن عمير وهو خيرٌ مني فلم نجد ما نكفنه، وقد أصبنا منها ما قد أصبنا، وأُعطينا ما أُعطينا، إني لأخشىٰ أن يكون قد عجّلت لنا طيباتنا في الدنيا» قال شعبة: ولم يأكل».

٣٢٠- عن عبد الرحمن بن عوف قال: «بُلينا بالضرَّاء فصبرنا، وبلينا السَّراء فلم نصبر».

- **أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه:**
- **ألا ربّ مُبيّض لثيابه مُدنّس لدينه:**

٣٢٧- عن نمران بن مخمر أبي الحسن عن أبي عبيدة بن الجرَّاح، أنه كان يسير

في العسكر فيقول: «ألا ربّ مُبيّض لثيابه مدنس لدينه، إلا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين، ادرؤوا السيّئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيّئات ما بينه وبين السماء، ثم عمل حسنة لحلّت فوق سيئاته حتىٰ تقهرهنّ».

- **عبد اللَّه بن مسعود** رضي الله عنه:

- **ربّ شهوة تورّث حُزنًا طويلًا:**

٤٠١- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «**ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافيًا ولا غافلًا ولا صاخبًا ولا صيّاحًا ولا حديدًا**».

٤٠٩- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «ليس العلم بكثرة الرّواية، ولكنّ العلم الخشية».

٤١٠- قال عبد اللَّه بن مسعود: «تعلّموا العلم فإذا علمتم فاعملوا».

٤٢٦- قال عبد اللَّه بن مسعود: «ما منكم إلّا ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل والعارية مؤدّاة إلىٰ أهلها».

٤٢٧- عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علّمني كلمات جوامع نوافع، فقال: «اعبد اللَّه ولا تشرك به شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه، وإن كان حبيبًا قريبًا».

٤٢٨- وقال عبد اللَّه بن مسعود: «الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبّي، وربّ شهوة تورّث حُزْنًا طويلًا».

٤٤٢- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «لا يقلّدنّ أحدكم دينه رجلًا، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لابدّ مُقلدين فاقتدوا بالميت، فإن الحيّ لا يؤمن عليه الفتنة».

- **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه:

- **لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم:**

٥٣٥- عن أبي ذر قال: «يولدون للموت، ويُعمّرون للخراب، ويحرصون علىٰ ما يفنىٰ، ويتركون ما يبقىٰ، ألا حبّذا المكروهان: الموت والفقر».

٥٤٠- عن أبي ذر قال: «واللَّه لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلىٰ نسائكم، ولا تقاررتم علىٰ فُرُشكم، واللَّه لوددت أنّ اللَّه ﷻ خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها».

٥٤٢- قال أبو ذر: «من أراد الجنة فليصمد صمدها».

٥٤٤- قال أبو ذر: «هل ترىٰ الناس، ما أكثرهم خير، إلّا تقي أو تائب».

- **عتبة بن غزوان** رضي الله عنه:

- **لم يبق من الدنيا إلا صُبابة كصبابة الإناء:**

٥٥٦- عن خالد بن عمير قال: خطبنا عروة بن غزوان قال: «أيها الناس، إنّ الدنيا قد آذنت بصُرم[1]، وولَّت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة[2] كصبابة الإناء، ألا وإنكم في دار أنتم متحوّلون منها، فانتقلوا بصالح ما يحضركم، وإني أعوذ باللَّه أن أكون في نفسي عظيمًا وعند اللَّه صغيرًا، وإنكم لتبلون الأمراء من بعدي، وإنّه واللَّه ما كانت نبوّة قط إلا تناسخت حتىٰ تكون ملكًا وجبرية، وإني رأيتني مع رسول اللَّه ﷺ سابع سبعة، ومالنا طعام إلّا ورق الشجر حتىٰ قرحت أشداقنا، فوجدت بردة فشققتها نصفين، فأعطيت نصفها سعد بن مالك، ولبست نصفها، فليس من أولئك السبعة اليوم رجل حيّ إلّا وهو أمير مصر من الأمصار، فيا للعجب للحجر يُلْقَىٰ من رأس جهنم، فيهوي سبعين خريفًا حتىٰ يتقرر في أسفلها، والذي نفسي بيده لتُملأنّ جهنّم، أفعجبتم، وإنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة

(١) يعني: بانقطاع وفناء وانقضاء «النهاية» (٣/ ٢٥).
(٢) الصُّبابة: البقية «النهاية» (٣/ ٥).

أربعين عامًا، وليأتينَّ عليه يوم وما فيها باب إلا وهو كظيظ»، وهذا الأثر رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٦٧).

- **عامر بن ربيعة** رضي الله عنه:

- **نزلت اليوم فينا آية أذهلتنا عن الدنيا:**

٥٧٩- عن زيد بن أسلم عن عامر بن ربيعة: أنه نزل به رجل فأكرم عامر مثواه، فكلّم فيه رسول اللَّه ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إنّي استقطعت رسول اللَّه واديًا ما في العراب وادٍ أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: «لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

- **سلمان الفارسيّ** رضي الله عنه:

- **خذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك:**

٦٠٦- قال سلمان لحذيفة: «يا أخا بني عبس، إنّ العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ما تحتاج في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تُعانِه».

- **الوعظ المزخرف والنافع منه:**

٦٤٣- عن رجل من أشجع قال: سمع الناس بالمدائن أنّ سلمان الفارسيّ في المسجد، فأتوه يثوبون إليه، حتىٰ اجتمع إليه نحو من ألف، فقام فجعل يقول: «اجلسوا اجلسوا»، فلما جلسوا فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدّعون ويذهبون، حتىٰ بقي في نحوٍ من مائة فغضب وقال: «الزخرف من القول أردتم، ثم قرأت عليكم كتاب اللَّه فذهبتم!»، وقال: الزخرف تريدون؟ آية من سورة كذا وآية من سورة كذا»[1].

٦٤٨- عن سلمان قال: «إنّ اللَّه تعالىٰ إذا أراد بعبد شرًّا أو هلكة نزع منه

(١) روىٰ أبو نعيم في: «الحلية» (٢٩٦٣) عن أيوب السختياني بن كيسان قال: «ما أفسد علىٰ الناس حديثهم إلَّا القُصَّاص».

الحياء، فلم تلقه إلّا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا نزعت منه الرّحمة فلم تلقه إلّا فظًّا غليظًا، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان كذلك نزعت ربقة الإسلام من عنقه فكان لعينًا ملعنًا».

٦٥٤- قال سلمان: «**مثل القلب والجسد، مثل أعمىٰ ومُقعَد، قال المُقعَدُ: إني أرىٰ ثمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه**» هل فهمت؟!

٦٥٨- عن نافع بن جبير بن مطعم، أن سلمان الفارسي كان يلتمس مكانًا يصلي فيه فقالت له علجة -وفي رواية- نبطية- التمس قلبًا طاهرًا، وصلِّ حيث شِئْتَ، فقال: «فقهت».

٦٦٢- عن سلمان الفارسي قال: «إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهىٰ ما يضرّه منعه وقال: لا تقربه فإنك إن أصبته أهلكك، ولا يزال يمنعه حتىٰ يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة ممّا فُضّل به غيره من العيش، فيمنعه اللَّه إيّاه ويحجزه عنه، حتىٰ يتوفّاه فيدخله الجنّة».

- **أبو الدرداء** رضي الله عنه:

- **الفكر والاعتبار:**

٦٦٨- عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة يقول: سألت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: «التفكير والاعتبار».

٦٧١- عن أبي الدرداء قال: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

٦٨١- عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: «كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم».

٦٨٣- قال أبو الدرداء: «ويل لمن لا يعلم، ولو شاء اللَّه لعلمه! وويل لمن يعلم ولا يعمل! سبع مرات».

٦٨٤- عن أبي الدرداء قال: «إنّك لا تفقه كُلّ الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا،

وإنّك لا تفقه كلّ الفقه حتىٰ تمقت الناس في جنب اللَّه، ثم ترجع إلىٰ نفسك فتكون لها أشدّ مقتًا منك للناس».

٦٨٦- عن أبي الدرداء قال: «من فِقْهِ الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه مع أهل العلم».

٦٨٩- قال أبو الدرداء: «اعبدوا اللَّه كأنكم ترونه، وعدّوا أنفسكم من الموتَىٰ، واعلموا أنّ قليلًا يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يَبْلىٰ، وأنّ الإثم لا يُنْسَىٰ».

٦٩٥- قال أبو الدرداء: «يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار علىٰ الأعداء، ما يمنعكم من مودّتي؟ وإنما مؤنتي علىٰ غيركم، ما لي أرىٰ علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم علىٰ ما تُكفّل لكم به، وتركتم ما أُمرتم به؟! ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأمّلوا بعيدًا؛ فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلّموا وعلِّموا، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما».

- **وهذا بكاء الفقيه؟!**

٧٠٩- عن جُبير بن نفير قال: لما فُتحتْ قُبْرُصُ فُرّق بين أهلها، فبكىٰ بعضهم إلىٰ بعض، ورأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يُبكيك في يوم أعزّ اللَّه فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير! ما أهون الخلق علىٰ اللَّه إذا هم تركوا أمره، بينما أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر اللَّه فصاروا إلىٰ ما ترىٰ».

- **معاذ بن جبل** رضي الله عنه:

- **إن معاذ بن جبل كان أمةً قانتًا للَّه حنيفًا:**

٧٧٧- عن فروة بن قوقل قال: قال عبد اللَّه بن مسعود: «**إنّ معاذ بن جبل رضي اللَّه تعالىٰ عنه كان أمة قانتًا حنيفًا**» فقيل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ

حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، فقال: «**ما نسيت، هل تدري ما الأمة وما القانت؟**» فقلت: اللَّه أعلم، فقال: «**الأمة الذي يُعلّم الخير، والقانت المطيع للَّه وللرسول، وكان معاذًا يُعلم الناس الخير، ومطيعًا للَّه ولرسوله**».

٧٨٨- عن ثور بن زيد قال: كان معاذ بن جبل ﷺ إذا تهجّد من الليل قال: «اللهمّ قد نامت العيون، وغارت النّجوم، وأنت حيٌّ قيّوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هُدَىٰ تردّه إليّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد».

٧٨٩- قال معاذ بن جبل لابنه: «يا بنيّ إذا صلّيت فصلّ صلاة مودّع، لا تظن أنك تعود إليها أبدًا، واعلم يا بني أنّ المؤمن من يموت بين حسنتين: حسنة قدمها، وحسنة أخّرها».

- **بكاء طالب علم على موت عالمه:**

٧٩١- عن عبد اللَّه بن سلمة قال: جاء رجل إلىٰ معاذ فجعل يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: واللَّه ما أبكي لقرابة بيني وبينك، ولا لدنيا كنت أصيبها منك، ولكن كنت أصيب منك علمًا فأخاف أن يكون قدانقطع، قال: فلا تبكِ، فإنه من يُرد العلم والإيمان يؤته اللَّه تعالىٰ؛ كما آتىٰ إبراهيم عليه السلام، ولم يكن يومئذ علم ولا إيمان».

٨٠٨- عن محمد بن سوقة قال: أتيت نُعيم بن أبي هند فأخرج إليّ صحيفة فإذا فيها: «من أبي عبيدة بن الجرَّاح ومعاذ بن جبل إلىٰ عمر بن الخطاب سلامٌ عليك، أما بعد، فإنّا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد ولّيت أمر هذه الأمّة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكلّ حصته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر؟ فإنا نُحذّرك يومًا تَعْنىٰ فيه الوجوه [﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].]، وتخف فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجّة ملك قهرهم بجبروته؛ فالخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عقابه، وإنّا كنّا نحدّث أنّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلىٰ أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ باللَّه أن ينزل

كتابنا إليك سوىٰ المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنّما كتبنا به نصيحة لك، والسلام عليك.

فكتب إليهما عمر بن الخطاب فقال: من عمر بن الخطاب إلىٰ أبي عبيدة ومعاذ، سلام عليكما، أما بعد، أتاني كتابُكما تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي، وأنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا باللَّه ﷻ، وكتبتما تحذراني ما حذرت منه الأمم قبلنا، وقديمًا كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، حتىٰ يصير الناس إلىٰ منازلهم من الجنة والنار، وكتبتما تحذّراني أن هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك، وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، تكون رغبة الناس بعضهم إلىٰ بعض لصلاح دنياهم، وأنكما كتبتما به نصيحة لي، وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إليّ، فلا غِنًىٰ بي عنكما، والسلام عليكما».

- **أُبيّ بن كعب** رضي الله عنه:

- **عليكم بالسبيل والسّنة:**

٨٣٧- عن أُبي بن كعب قال: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ علىٰ سبيل وسنّة، ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية اللَّه فتمسّه النار، وليس من عبدٍ علىٰ سبيل وسنّة ذكر الرحمن فاقشعر جلده مخافة اللَّه ﷻ إلّا كان مثله مثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابها الرّيح فتحاتت عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإنّ اقتصادًا في سبيل وسنّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل اللَّه وسنّته، فانظروا أعمالكم، فإن كانت اجتهادًا أو اقتصادًا أن تكون علىٰ منهج الأنبياء وسنّتهم».

- **أبو موسى الأشعري** رضي الله عنه:

- **يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه:**

٨٦٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنّا مع أبي موسىٰ الأشعري في مسيرٍ له،

فَسَمِعَ الناس يتحدثون، فسمع فصاحة، ثم قال: «مالي يا أنس؟ هَلُمَّ فلْنذكر ربّنا، فإن هؤلاء يكادُ أحدهم أن يفري الأديم بلسانه، يا أنس ما أبطأ بالناس عن الآخرة، وما ثبرهم عنها؟! قلت: الشهوات والشيطان، قال: «لا واللَّه، ولكن عُجّلتْ لهم الدّنيا وُأخّرت الآخرة، ولو عاينوا ما عدلوا وما ميلوا».

- **حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:**

- **وَقْعُ الفتن أشد وأعظم من الخمر:**

٩١٧- عن حذيفة بن اليمان قال: «ما الخمر صرفًا بأذهب بعقول الرجال من الفتنة».

٩٤١- عن طارق بن شهاب عن حذيفة قال: **قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: «لا، ولكنّهم كانوا إذا أُمِرُوا بشيْء تركوه، وإذا نهو عن شيْء ركبوه، حتىٰ انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجلُ من قميصه».**

٩١٦- قال أبو مسعود لحذيفة بن اليمان: إنّ الفتنة وقعت فحدّثني ما سمعته، قال: «أولم يأتكم اليقين؟ كتاب اللَّه عز وجل».

قال الأصفهاني في «المفردات في غريب القرآن» (ص٥٥٣): «يقين: اليقين فوق المعرفة والدّراية وأخواتِها، يقال علمُ يقين، ولا يُقال معرفة يقين، واليقين هو: سكون الفهم مع ثبات الحكم». اهـ

٩٣٨- عن حذيفة قال: **«إنّ أخوفُ ما أخاف علىٰ هذه الأمة، أن يؤثروا ما يرون علىٰ ما يعلمون، وأنْ يضلوا وهم لا يشعرون».**

٩٤٨- عن حذيفة قال: «ذهب النفاق فلا نفاق إنما هو الكفر بعد الإيمان، المنافقون اليوم شر منهم علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ، كانوا يومئذ يكتمونه، وهم اليوم يُظهرونه».

٩٣٦- عن حذيفة قال: «لوددت أنّ لي إنسانًا يكون في مالي ثم أغلق عليّ الباب، فلم أُدخل عليَّ أحدًا حتىٰ ألقىٰ اللَّه عز وجل».

- **عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما:**

- **ملاك القول الفعل:**

١١٨٦- عن محمد بن عبد اللَّه الثقفي قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا يوم التروية، فلبّىٰ بأحسن تلبية ما سمعتها قط، ثم حمد اللَّه وأثنىٰ عليه ثم قال: «أما بعد: فإنّكم جئتم من آفاق شتّىٰ وفودًا إلىٰ اللَّه ﷻ، فحقّ علىٰ اللَّه أن يُكرم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند اللَّه، فإن طالب اللَّه لا يخيب، فصدّقوا قولكم بفعل؛ فإنّ ملاك القول الفعل، والنيّة النية، والقلوب القلوب، اللَّه اللَّه في أيّامكم هذه، فإنّها أيام تُغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتّىٰ في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ما هنا»، ثم لبّىٰ ولبَّىٰ فما رأيت يومًا قط كان أكثر باكيًا من يومئذٍ.

- **الحسن البصري التابعي رحمه الله:**

- **دينك دينك فإنه لحمك ودمك:**

١٨٠٣- قال الحسن البصري: «رحم اللَّه امرءًا عرف ثم صبر، ثم أبصر فبصر، فإنّ أقوامًا عرفوا فانتزع الجذع أبصارهم، فلا هم ادركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلىٰ ما تركوا، اتقوا هذه الأهواء المضلة، البعيدة من اللَّه، التي جماعها الضلالة، ميعادها النار لهم محنة، من أصابها أضلّته، ومن أصابته قتلته، يا ابن آدم دينك دينك فإنه لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرىٰ، فنعوذ باللَّه، فإنها نار لا تُطْفَىٰ، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفد أبدًا، ونفس لا تموت، يا ابن آدم، إنّك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، عند الموت يأتيك الخبر، إنّك مسئول ولا تجد جوابًا، إنّ العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همّه».

١٧٩٥- عن الحسن البصري قال: «يا ابن آدم عملك عملك، فإنما هو لحمك ودمك، فانظر علىٰ أيّ حال تلقىٰ عملك، إنّ لأهل التقوىٰ علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرّحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر

والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلىٰ اللَّه ﷻ، يا ابن آدم، إنك ناظر إلىٰ عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرنّ من الخير شيئًا وإن هو صغر، فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئًا، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، فرحم اللَّه رجلًا كسب طيبًا، وأنفق قصدًا؛ فضلًا ليوم فقره، وفاقته، هيهات! هيهات! ذهبت الدنيا بحالتيْ مآلها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وقد أُسْرِعَ بخياركم فما تنتظرون؟! المعاينة؟ فكأنّ قدْ، إنه لا كتاب بعد كتابكم، لا نبيّ بعد نبيّكم، يا ابن آدم بعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبيعنّ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا».

١٧٩٦- عن مالك بن مغول عن حميد قال: بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد وهو يمصّ ماءً ويمجّه، تنفّس شديدًا ثم بكىٰ حتىٰ ارتعدت منكباه، ثم قال: «لو أنّ بالقلوب حياة، لو أنّ بالقلوب صلاحًا لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إنّ ليلة تمخّض عن صبيحة يوم القيامة، ما سمع الخلائق بيومٍ قطّ أكثر فيه من عورة بادية، ولا عين باكية، من يوم القيامة».

- **قلت**: انتهت الآثار من «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» كلها من أصحاب رسول اللَّه ﷺ عدا الحسن البصريّ التابعي الجليل رحمه اللَّه تعالىٰ، وكذلك:

- **محمد بن المنكدر التابعي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **أتعبتم الواعظين!!!**

٣٥٨٥- عن أبي يعقوب الجينيّ قال: اجتمعوا حول ابن المنكدر وهو يصلّي، وكان رجلًا عابدًا فانصرف فقال:

«**أتعبتم الواعظين!، إلىٰ مَتَىٰ تُسَاقون سوق البهائم؟!**».

٣٥٨٦- عن محمد بن المنكدر قال: «كابدت نفسي أربعين سنة حتىٰ استقامت».

- **وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٤) عن محمد بن المنكدر قال:**

«إنّ اللَّه ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، وأهل دويرته، وأهل الدّويرات حوله، فما يزالون في حفظ من اللَّه مادام فيهم». **قلت**: ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٩٢) بلفظ مقارب.

- **ختامه مسك، وأثر جليل للحسن البصريّ:**

روىٰ ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ» (٨٧٤) باب فضائل الإيمان وعلىٰ كم شعبة؟ عن عبد الملك بن جدَّان، إن عبد الواحد بن زيد، والحسن البصريّ دخلا المسجد يوم الجمعة فجلسا فدمعت عين الحسن، فقال عبد الواحد: يا أبا سعيد ما يبكيك؟ فقال:

«أرىٰ قولًا، ولا أرىٰ فعلًا، معرفة بلا يقين، أرىٰ رجالًا ولا أرىٰ عقولًا، أسمع أصواتًا ولا أَرَىٰ أنيسًا، دخلوا ثم خرجوا، حرَّموا ثم أحلّوا، عرفوا ثم أنكروا، وإنما دين أحدهم لعقة علىٰ لسانه، ولو سألته هل يؤمن بيوم الحساب؟ لقال: نعم، كذب، ومالك يوم الدين، ما هذه من أخلاق المؤمنين، إنّ من أخلاق المؤمنين قوةً في الدين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وقصدًا في غنىٰ، وتجمّلًا في فاقة، ورحمةً للمجهود، وعطاءً في حقٍّ، ونهيًا عن شهوة، وكسبًا في حلال، وتحرّجًا عن طمع، ونشاطًا في هدًىٰ، وبرًّا في استقامة، لا يحيف علىٰ من يُبغض، ولا يأثم في الحبّ، ولا يدّعي ما ليس له، ولا يُنَابز بالألقاب، ولا يشمت بالمصائب، ولا يضرّ بالجار، ولا يهمز، في الصلاة مُتخشع، وإلىٰ الزكاة متسرع، إنْ صمت لم يغمّه الصمت، وإن ضحك لم يعلُ صوته، في الزلازل وقور، وفي الرّخاء شكور، قانع بالذي له، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الشّحّ، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، وينطق ليفهم، إن كان مع الذاكرين لم يكتب من الغافلين، وإن كان من الغافلين كُتب من الذاكرين، وإن بُغِيَ عليه صبر، حتّىٰ يكون اللَّهُ هو الذي ينتقم له يوم القيامة».

- **فبالإسلام أعطى اللَّه ما رأيتم:**

روىٰ ابن جرير الطبري في «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (١٥٨٤٥) عن

التابعي قتادة بن دعامة السدوسيّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦] **قال:**

«كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلًّا، وأشقاه عيشًا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبْيَنُهُ ضلالًا، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدّي في النار، يُؤكلون ولا يأكلون، واللَّه ما نعلم قبيلًا من حاضر الأرض يومئذ كانوا أشرّ منهم منزلًا، حتىٰ جاء اللَّه بالإسلام فمكّن به في البلاد، ووسّع به في الرّزق، وجعلهم ملوكًا علىٰ رقاب الناس، فبالإسلام أعطىٰ اللَّه ما رأيتم، فاشكروا اللَّه علىٰ نِعَمِهِ، فإنّ ربّكم مُنْعِمٌ يحب الشكر، وأهل الشّكر في مزيد من اللَّه تبارك وتعالىٰ».

- **فإنّها لا تضرّك فتنة ما عرفت دينك:**

وروىٰ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٤٤٧) في كتاب الفتن، عن أبي مسعود عن حذيفة بن اليمان قال: «أما عرفت دينك يا أبا مسعود؟ قلت: بلىٰ، قال: فإنها لا تضرّك فتنة ما عرفت دينك، إنّما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل فلم تَدْرِ أيّهما تتْبع، فتلك الفتنة».

- هذا آخر ما كان من الركيزة الثالثة، وما فيها من آثار صحابة رسول اللَّه ﷺ كبرهان علىٰ إجماعهم واتفاقهم علىٰ حكم الوعظ والرقاق؛ من خلال ما رواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء» بعد ما كان من الأدلة من سنّة رسول اللَّه ﷺ في الركيزة الأولىٰ، ثم الدليل من القرآن كما في الركيزة الثانية، فتمّت الحجة والمحجّة علىٰ الاستدلال الشرعيّ لحكم الوعظ، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ٢٥].

- **بيان أن كل ما ذُكر في هذه الآثار هو بمثابة التقعيد:**

سيأتي في الركيزة الرابعة عنوان: «**صفة التقعيد في هذا الكتاب وذكر صور منها للبيان**»، ثم أوردت صور التقعيد من آثار السلف الصالحين من التابعين وتابعي التابعين، فكانت هذه الركيزة الثالثة هنا آثار الصحابة، قد جعلتها كدليل علىٰ

الإجماع بحجّية الوعظ والرقاق، ثم فصّلت القول في الركيزة الرابعة في صفة التقعيد، كما سيأتي بإذن اللَّه تعالىٰ.

- **خيرُ القرونِ القرونُ الثلاثةُ، ثم ظهرت البدع بعدهم:**

روىٰ البخاري في «صحيحه» (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد اللَّه بن مسعود، قال: سُئل رسول اللَّه ﷺ أيّ الناس خير؟ قال: «**قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، وفي رواية: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

قال النووي في «شرح مسلم» (١٦/ ٦٥، ٦٦):

«اتفق العلماء علىٰ أنّ خير القرون قرنه ﷺ، والمراد الصحابة، والصحيح الذي عليه الجمهور: أنّ كلّ مسلم رأىٰ النبيّ ﷺ فهو من أصحابه، ورواية: «**خير الناس**» علىٰ عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابيّ علىٰ الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم، ولا أفراد النساء علىٰ مريم عليها السلام وعلىٰ آسية امرأة فرعون وغيرهما؛ بل المراد جملة القرن بالنسبة إلىٰ كل قرن بجملته، . . . ، والصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم». اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٧/ ٥-٦):

«قوله ﷺ: «**خير أمتي قرني**» أي: أهل قرني، والقرن أهل زمان واحد اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، . . . ، والمراد بقرن النبيّ ﷺ في هذا الحديث قرن الصحابة، وفي رواية لأحمد بلفظ: «**خير هذه الأمة القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1]، وقد ظهر أنّ الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة دونها أو فوقها بقليل علىٰ الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، . . . ، وأما قرن التابعين، فإن اعتبر من سنة مائة، كان نحو سبعين أو ثمانين، أما الذين بعدهم، فإن اعتبر منها، كان نحوًا من خمسين، فظهر بذلك أن مدّة كل قرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان.

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٨٢٦٤، ١٨٢٦٥).

• واتفقوا أنّ آخر من مات من أتباع التابعين ممن يُقبلُ قوله، من عاش إلىٰ حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامْتُحِنَ أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيّرت الأحوال تغيّرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص حتىٰ الآن، . . . ، قوله: «**ثم الذين يلونهم**» أي: القرن الذي بعدهم وهم التابعون، «**ثم الذين يلونهم**» وهم أتباع التابعين، واقتضىٰ الحديث: أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين». اهـ

أثر الوعظ في المكلّفين بين الظن واليقين

قال الحافظ كبير الوعّاظ في زمانه جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر» (ص٧-٨) في أوّل كتابه بعد الحمد والثناء علىٰ اللَّه:

«قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادة القساوة والغفلة، فتدبّرت السبب في ذلك فعرفته.

ثم رأيت الناس يتفاوتون في ذلك، فالحالة العامة أنّ القلب لا يكون علىٰ صفته من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها لسببين: أحدهما: أنّ المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها، إيلامها وقت وقوعها، والثاني: أنّ حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مُزاح العِلّة؛ قد تَخَلّىٰ بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلىٰ الشواغل اجتذبته بآفاتها، وكيف يصحّ أن يكون كما كان؟! وهذه حالة تعمّ الخلق؛ إلّا أنّ أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقّف بهم ركب الطبع لضجّوا، كما قال حنظلة رضي الله عنه: «نافق حنظلة»[1]، ومنهم

(١) روىٰ مسلم في «صحيحه» (٢٧٥٠) قال حنظلة: دخلنا علىٰ رسول اللَّه ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول اللَّه فقال ﷺ: «**وما ذاك؟**» قلت: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال: «**والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة علىٰ فُرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**».

أقوام يميل بهم الطبع إلىٰ الغفلة أحيانًا، فَهُمْ كالسُّنبُلة تُميلها الرّياح، وأقوام لا يؤثّر فيهم إلّا بمقدار سماعه، كما دحرجته علىٰ صفوان [يعني: رخام أملس]، وجواذب الطبع إلىٰ الدنيا كثير، ثم هي من داخل. وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع من خارج، وربّما ظن من لا علم له، أنّ جواذب الآخرة أ قوىٰ؛ لما يسمع من الوعيد في القرآن، وليس كذلك؛ لأن مثل الطبع في ميله إلىٰ الدنيا، كالماء الجاري، فإنه يطلب الهبوط، وإنّما رَفْعُهُ إلىٰ فوق يحتاج إلىٰ تكلّف، ولهذا أجاب معاون الشرع بالترغيب والترهيب يَقْوَىٰ جُنْدُ العقل، فأمّا الطبع فجواذبه كثيرة، وليس العجب أن يَغلِبَ، إنما العجب أنْ يُغلَبَ». اهـ

• **أورد الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (١٠/ ٤٠٣) حديث (١٧٧٢٣) باب في المواعظ، عن أبي مدينة الدَّارميّ -وكان له صحبة- قال:** «كان الرجلان من أصحاب النبيّ ﷺ إذا التقيا لم يتفرّقا حتىٰ يقرأ أحدهما علىٰ الآخر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

• **هلاك الأمّة كيف يكون؟قاعدة بيان:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٣٥٧) عن الصحابيّ سلمان الفارسيّ قال: «إنّما تهلك هذه الأمة من قِبَلِ نقض مواثيقها».

وفي «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٩) حديث (١٧٧٤٠) عن الوليد بن أيمن الألهانيّ قال: سمعت النّعمان بن بشير الصحابيّ رضي الله عنه وهو يخطب بحمص وهو يقول: «ألا إنّ الهلكة أنْ تعمل السيّئات في زمان البلاء».

• **وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٢٦٣، ١٥٢٦٤) عن الجُنَيْد بن محمد الجُنَيْد، وسئل عن قوله تعالىٰ:** ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ٦] **فقال:** «سنقرئك التلاوة فلا تَنْسَ العمل»، وسئل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ [الأعراف: ١٦٩] فقال: «تركوا العمل بما فيه».

• **وكذلك في «الحلية» (١٤٩١٥) عن سهل بن عبد اللَّه التُّسْتريّ قال:**

«الجاهلُ ميّتٌ، والنّاسِي نائمٌ، والعاصي سكرانٌ، والمُصِرُّ نَدْمانٌ».

• **وروىٰ أيضًا في «الحلية» (١٥٩١٦) عن سهل التستري قال:**

«الانقطاع من الشهوات: الخروج من الجهل إلىٰ العلم. ومن النسيان إلىٰ الذكر، ومن المعصية إلىٰ الطاعة، ومن الإصرار إلىٰ التّوْبة».

• **العقل الصحيح ما يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه:**

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥٦٣٥) عن محمد بن إبراهيم أبي عمرٍو الزجاجيّ قال:

«كان الناس في الجاهلية يتّبعون ما تستحسنه العقول والطبائع، فردّهم النبيّ ﷺ إلىٰ اتباع الشرائع، فالعقل الصحيح ما يستحسن محاسن الشريعة، ويستقبح ما يستقبحه».

قال ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ٧):

«قال بعض السلف الصالح: «ترىٰ الرجل لبيبًا داهيًا فطنًا، ولا عقل له؛ فالعاقل من أطاع اللَّه ﷻ».

• **ما الخلاص مما نحن فيه؟!**

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١١٤٦٢) سُئل الفضيل بن عياض: ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال: أخبرني: من أطاع اللَّه ﷻ هل تضرّه معصية أحد؟ قال: لا، قال: فمن عصىٰ اللَّه هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا، قال: فهو الخلاص لمن أراد الخلاص».

* * *

الركيزة الرابعة»
قواعد البناء الفقهيّ الشرعيّ وضوابطه في الوعظ والرقاق

- **معنى القاعدة والضابط لغةً وشرعًا:**

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٢/ ١٤٨):

«والقاعدة: الأسّ، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت: أساسه، وقال الزجّاج: القواعد أساطين البناء التي تَعْمِدُهُ، وقال أبو عُبيد: قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق شُبِّهت بقواعد البناء». اهـ

وقال تاج الدين السّبكيّ في «الأشباه والنظائر» (١/ ١٠) في معنىٰ القاعدة شرعًا:

«هي الأمر الكلّي الذي ينطبق عليه جميع جزئيات كثيرة تُفهم أحكامها منها». اهـ

وقال نجم الدين الطوفيّ في «شرح مختصر الروضة» (١/ ١٢٠-١٢١):

«القواعد: جمع قاعدة وهي أساس البُنْيان، وفي اصطلاح العلماء حيث يقولون: القاعدة في هذه المسألة في هذا الباب كذا: هي القضايا الكليّة التي تُعرف بالنّظر فيها قضايا جزئيّة، كقولنا مثلًا: حقوق العقد تتعلق بالموكل دون الوكيل، وقولنا: الحيل في الشرع باطلة، فكل واحدة من هاتين القضيتيْن تُعرف بالنظر فيها قضايا متعددة». اهـ

وقال الفيوميّ في «قاموس المصباح المنير» (ص٢٧٠):

«والقاعدة في الاصطلاح: بمعنىٰ الضابط، وهي الأمر الكُلّي المنطبق علىٰ

جميع جُزئيّاته». اهـ

وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٦٦):

«ضبط: الأضبط هو الذي يعمل بيديه جميعًا، يعمل بيساره كما يعمل بيمينه، وهو القوي في عمله، يقال: تضبّطتُ فلانًا إذا أخذتَه علىٰ حبس منك له وقهر». اهـ

وقال الفيوميّ في «المصباح المنير» (ص١٩١):

«ضبطه ضبطًا من باب ضرب، حفظه حفظًا بليغًا، ومنه قيل: ضبطت البلاد وغيرها، إذا قمت بأمرها قيامًا ليس فيه نقص». اهـ

وقال الجرجاني في «معجم التعريفات» (ص١١٦):

«الضبط في اللغة: عبارة عن الحزم، وفي الاصطلاح: إسماع الكلام كما يحق سماعه، ثم فهم معناه الذي أريد به، ثم حفظه ببذل مجهوده والثبات عليه بمذاكرته إلىٰ حين أدائه إلىٰ غيره». اهـ

وقال ابن منظور في «لسان العرب» (٩/ ١٢):

«الضبط لزوم الشيء وحبسه، وقال الليث: الضبط لزوم الشيء لا يفارقه في كل شيْء، وفلان لا يضبط عمله، إذا عجز عن ولاية ما وَلِيَهُ». اهـ

وقال في «معجم غريب الفقه والأصول» (ص: ٣٦٥):

«ضبط عشواء: العشواء الناقة التي لا تبصر ما أمامها، فهي تخْبط بيديها كلّ شيْء، وركب فلان العشواء: إذا خبط علىٰ غير بصيرة». اهـ

قلت: وهذا الأخير ذكرته؛ من باب ضد الضبط، والعكس، لبيان وجهي المعنىٰ، وقوله:

«ضدان لما استجمعا حسنًا والضدُّ يُظهر حسنه الضد»

فعلىٰ ضوء ما تقدم من المعاني، فإن القاعدة والضابط يجمعان ويوصّلان إلىٰ القانون الكلّي، الذي يُسار به وعليه جمع وحصر ما تفرق وتشتّت من الفروع، فيكون هذا القانون أصلًا وركنًا ودعامة يُبْنىٰ عليه غيره، من باب جوامع الكلم في عبارة تحتوي علىٰ كلّية تضبط العلوم، وتبيّن الفهوم، وتكشف عن المراد

والمقصود من غير شرود، وحصر للمعاني المحفوظة حفظًا بليغًا ليس فيه نقص.

- **قاعدة القواعد البيانية:**

قال الإمام الفقيه الأصوليّ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافيّ (ت٦٨٤هـ) في أول صفحة من كتابه: «كتاب الفروق»:

«أما بعد، فإن الشريعة المعظمة المحمّدية -زاد اللَّه منارها شرفًا وعلوًّا- اشتملت علىٰ أصول وفروع، وأصولها قسمان، أحدهما: المسمّىٰ بأصول الفقه ..... ، والقسم الآخر: قواعد كليّة فقهية جليلة، كثيرة العدد، عظيمة المدد، ومشتملة علىٰ أسرار الشرع وحِكَمِه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يُحْصىٰ، وهذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، بقدر الإحاطة بها يعلو قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف، وتتضح مناهج وتكشف، فيها تنافس العلماء، وتفاضل الفضلاء، وبرَّز[1] علىٰ الجَذَع، وحاز قصب السَّبق من فيها بَرَع، ومن جعل يُخرّج الفروع بالمناسبات الجُزْئيّة دون القواعد الكلّية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلىٰ حفظ الجزئيات التي لا تتناهىٰ، وانقضىٰ العُمْرُ ولم تقْض نفسه مِنْ طلب مناها.

- ومن ضبط الفقه بقواعده استغنىٰ عن حفظ أكثر الجزئيات؛ لاندراجها في الكليّات، واتّحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع البعيد وتقارب، وحصّل طِلْبَتَه في أقرب زمان، وانشرح صدره لِما أشرق فيه من البيان؛ فبيْن المقامين شأوٌ بعيدٌ، وبين المنزلتين تفاوت شديد». اهـ

- **صفة التقعيد في هذا الكتاب وذكر صورٍ منها للبيان:**

وكما ظهر لك معنىٰ القاعدة لغةً واصطلاحًا؛ فإنه قد عُلِمَ المراد المقصود بوضع ضوابط تُحْكَمُ بالقوانين التي هي بمثابة أصول وأسس، تقوم عليها منهجية الوعظ الشرعي، ينحصر من خلالها كُلّيات، في كل كلية منها قانون بكلمات

(١) برَّز: يعني تميز وازداد مكانةً وعلوًّا في أمره؛ أي: نبغ فيه وفاز.

وصيغة تجمع شتات وفروع صور الوعظ، مثل قواعد أصول الفقه التي تضبط الفتوىٰ واستنباط الحكم الشرعي من الدليل، وكذلك قواعد الفقه، ولمّا كان الوعظ تختلف الوسيلة فيه، وتتنوّع مفردات الكلمات، وتتغير الرؤىٰ بتغير الوعّاظ والأفكار والمقاصد؛ كان المراد هنا، لملمة شتات كل ذلك في كلمات محكمة، يدخل تحتها كل ما يتناول اسم الموعظة وما يدل عليها بأشكالها المتعددة.

والذي عليه عامّة أهل العلم في منظومة التقعيد: أنها تتأسّس علىٰ أمرين: قلّة الألفاظ، ووضوح المعنىٰ المقصود وبيانه، فمثلًا القاعدة الفقهية المجمع عليها: «**كل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريمه حرج وهو منتفٍ شرعًا**»، والقاعدة: «**ما أبيح للضرورة يُقدّر بقدرها**»، وقاعدة: «**المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا**»، وقاعدة: «**اليقين لا يزول بالشّك**»، وكذلك الأمر في قواعد أصول الفقه مثل قاعدة: «**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**»، وقاعدة: «**لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة**»، وقاعدة: «**إذا تطرق إلىٰ الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال**»، وقاعدة: «**لا يُقال بالنسخ إلا عند تعذّر الجمع**»، وغيرها من القواعد.

• وفي كتابي هذا نحوت نحوًا غير الذي سرت عليه في كتبي التي جعلتها في جملة كبيرة من القواعد، كحال القواعد المبثوثة في كل كتب القواعد، وذلك أنّي جعلتها هنا نصًّا من أقوال السلف الصالحين في آثارهم في الوعظ والرقاق، فنقلت هذه الآثار بانتقاء وعناية، فكان منها ما لفظه قليل ووجيز، مثل: «**كل شيْء دون اللَّه فهو وسوسة**»، و«**أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلا صدّيق**»، و«**كل ما شغلك عن اللَّه من أهلٍ أو مال أوْ وَلد فهو عليك مشؤوم**»، و«**ترك الذنوب هو الدعاء**»، و«**بلغنا أن الشهوة والهوىٰ يغلبان العلم والعقل والبيان**»، و«**لم أر أنفع للوباء من التسبيح**»، و«**ما صدق اللَّهَ عبدٌ أحبَّ الشهرة**»، و«**الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما**»، و«**التوكل جماع الإيمان**»، و«**لو أنّ أهل القرآن أصلحوا لصلح الناس**»، و«**الزهادة جمع الأشياء من حلّها ووضعها في حقّها**»، و«**كل عمل تكره الموت لأجله فاتركه، ثم لا يضرك متىٰ متّ**»، و«**لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشرّ كلّه**»، و«**إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا جعل له**

واعظًا من قلبه يأمره وينهاه»، و«**ليس شيْء أطيب من الروح، ما انتزع من شيْء، إلا أنتن**»، وسيأتي الكثير منها.

فهذه جملة من الآثار هي صورة لمنهج التقعيد علىٰ وزان ما قلّ ودلّ، ومنها كذلك آثار بكلمات كثيرة وفي سياقات طويلة، ولكنّها متحدة في المعنىٰ المراد، وكل كلماتها لا يستقيم أن تحذف منها كلمة؛ حتىٰ لا يختل المقصود، كما بدأت أول قاعدة في التقوىٰ، وهي من أجود ما يكون، ولم أقرأ مثلها في جماع صفة التقوىٰ.

بل هناك أثر لذي النون المصري قد جمع فيه (١٠) قواعد متفرقة، وآخر له في (١٥) قاعدة.

ولما كان ذلك من أئمة السلف الصالحين العلماء الفقهاء؛ كانت ألفاظهم في آثارهم مصبوغة بالإتقان والحكمة والتميّز والوعي والبصيرة، والفصاحة والمنهجيّة القرآنية والسّنّيّة والإجماعية، فكان أقوىٰ وأعلم وأفقه مما قعّده المتأخرون من الخلف، ومن ثَم نقلت هذه الآثار علىٰ ما هي عليه، وكان عملي فيها في حيّز الاختيار من موسوعة «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، وهي اسم علىٰ مسمّىٰ بلا خلاف، وقد انتقيتها لكم انتقاءً؛ تقريبًا لطلبة العلم من أهل السنة والجماعة.

• وقد جعلت من كل أثر فائدة منفردة ومتميّزة، حتىٰ تمّت الفكرة، وتحصّل من كل ذلك قواعد في عامّة الوعظ والرقاق.

ولقد بدأت ذلك في الرّكيزة الثالثة، وكانت كلها من آثار الصحابة، وقد أدرجتها تحت اتفاق الأمة علىٰ ضرورة الوعظ كحكم شرعيّ.

• وفي هذه الركيزة أكملت بآثار التابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم، لتكتمل الفكرة والغاية، وذلك علىٰ ضوء الحديث العمدة الذي ختمت الركيزة الثالثة به بعد شرحه المهم، وبيان خيرية القرون الثلاثة الأُول: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

- **الفقه والفهم ثم ازهد على علم:**

روىٰ الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨، ١٩) باب تفضيل الفقهاء علىٰ العبَّاد، عن نافع مولىٰ ابن عمر قال: جاء رجل إلىٰ ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن علّمني شيئًا أنال به خيرًا، قال: «تفقّه في الدين»، قال الرجل: ما أراه فهم عنّي، فعاوده فقال: إنما أسألك أنْ تعلّمني شيئًا أنال به خيرًا!، قال ابن عمر: «ويح الآخر، أليس الفقه في الدين خيرًا من كثير العمل؟! إنّ قومًا لزموا بيوتهم فصاموا وصلّوا حتىٰ يبست جلودهم علىٰ أعظمهم؛ لم يزدادوا من اللَّه إلّا بعدًا».

ثم أتبع الخطيب بأثر آخر عن ضرار بن عمرو قال: «إن قومًا تركُوا العلم ومجالسة أهل العلم، واتخذوا محاريب، صلوا وصاموا، حتىٰ بلي جلد أبدانهم علىٰ عظمه، وخالفوا السنة، فهلكوا، فلا والذي لا إله غيره، ما عمل عامل قط علىٰ جهل إلا كان ما يُفسد أكثر مما يصلح».

- **تقعيد على لسان أئمة في الوعظ وأصول السنة والدين من التابعين وتابعيهم:**

- **قاعدة كبرى في التقوى: وهي المجمع عليها في هذا الأثر:**

ما رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٥٤٠) عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة التابعيّ أنه كان يكتب بهذه: «**أما بعد: فإنّي أوصيك بتقوىٰ اللَّه، التي حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن ضيّعها، ورأس التقوىٰ الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع، وأنّ تقوىٰ اللَّه شرطه الذي اشترط، وحقّه الذي افترض، والوفاء بعهد اللَّه أن تُجْعَلَ له ولا تُجعلَ لمن دونه، فإنما يطاع من دونه بطاعته، وإنّما تقدَّم الأمور وتؤخّر بطاعته، وأن يُنقض كل عهد للوفاء بعهده، ولا ينقض عهده للوفاء بعهد غيره، هذا إجماع من القول له تفسير لا يُبْصره إلّا البصير، ولا يعرفه إلّا اليسير**».

قلت: فما وجدت تقعيدًا كليًّا كافيًا شافيًا لصفة التقوىٰ كهذا الأثر في شموله

وإحاطته بمعاني ألفاظه وتحقيقها وتحريرها وبيانها والكشف عن مقاصدها ومرادها والإلمام بكل ذلك فيها، فعض عليها بنواجذك.

- **قاعدة كبرى وموعظة في الزّهد المُهلِكِ: وهي في هذا الأثر:**

ما رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٥٤٢) عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة قال: «**أزهد الناس في عالمٍ أهلُه**، وكان يُضرب مثل ذلك كالسّراج بين أظهر القوم، يستصبح الناس منه، ويقول أهل البيت: إنما هو معنا وفينا، فلم يُفاجئهم إلّا وطُفِئ السّراج، فأمسك الناس ما استصبحوا من ذلك».

قاعدة في الإخلاص:

روىٰ أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧٥) عن التابعي الربيع بن خُثَيْم أبي زيد قال: «كل ما لا يُبتغَىٰ به وجه اللَّه تعالىٰ يضمحل».

قاعدة في الغاية:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٧٤٩، ١٧٦١)، وترجم له أبو نعيم فقال: حكيم الأمة وممثّلها، أبو مسلم عبد اللَّه بن ثوب الخولاني التابعي قال: «إنّي أبصرت الغاية، وأنّ لكلّ ساعٍ غاية، وغاية كل ساعٍ الموت، فسابق ومسبوق»، وكان إذا وقف علىٰ خرِبة قال: «يا خرِبة أين أهلكِ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، وانقطعت الشهوات وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من التّوبة».

قاعدة في وجوب الحزن:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٧٨٣، ١٧٨٥، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩٠) عن الحسن البصري قال: «إنّ المؤمن يصبح حزينًا ويمسي حزينًا، وينقلب باليقين في الحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة: الكف من التمر، والشربة من الماء، واللَّه الذي لا إله إلا هو ما يسع المؤمن في دينه إلّا الحزن، طول الحزن في الدنيا تلقيح العمل الصالح، واللَّه ما من الناس رجل أدرك القرن الأوّل، أصبح بين ظهرانيكم، إلّا أصبح مغمومًا وأمسىٰ مغمومًا، واللَّه لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلّا حزن وذبل، وإلّا نصب، وإلّا ذاب، وإلّا تعب».

قاعدة: الصبر والسماحة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٤٣) عن الحسن البصري: وسأله رجل أنّ رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد ما الإيمان؟ قال: «الصبر والسماحة». قال: يا أبا سعيد فما الصبر وما السماحة؟ قال: «الصبر عن معصية اللَّه، والسماحة بأداء فرائض اللَّه ﷻ».

قاعدة: المؤمنون قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٥٠، ١٨٥١) عن الحسن البصري قال: «إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إنّ المؤمن أسير في الدّنيا يسعىٰ في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتىٰ يلقىٰ اللَّه ﷻ، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كلّه، إنّ المؤمنين شهود اللَّه في الأرض، يعرضون أعمال بني آدم علىٰ كتاب اللَّه، فمن وافق كتاب اللَّه حمد اللَّه عليه، وما يخالف كتاب اللَّه عرفوا أنّه مخالف لكتاب اللَّه، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل عن الحق».

قاعدة في التّعبد:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٦٧) عن التابعي سعيد بن المسيّب، أنَّ بكر بن خنيس قال: قلت لسعيد بن المسيّب -وقد رأيت أقوامًا يصلون ويتعبّدون: يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: «يا ابن أخي، إنّها ليست بعبادة» قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال: «التفكّر في اللَّه، والورع عن محارم اللَّه، وأداء فرائض اللَّه».

قاعدة في التوبة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٨٩) عن سعيد بن المسيّب في قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] قال: «الذي يذنب، ثم يتوب، ثم يُذنب ثم يتوب، ولا يعود في شيْء قصدًا». وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

قاعدة في السّتر والفضيحة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٩٦) عن سعيد بن المسيب قال: «يد اللَّه فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه اللَّه، ومن وضعها رفعه اللَّه، الناس تحت كنفه، يعملون أعمالهم فإذا أراد اللَّه فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته».

قاعدة في الإسلام:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢١١٠) عن التابعي رفيع أبي العالية قال: «تعلّموا الإسلام، فإن تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنّه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينًا وشمالًا، وعليكم بسنة نبيّكم ﷺ وأصحابه قبل أن يقتلوا صاحبهم، وقبل أن يفعلوا الذي فعلوه بخمس عشرة سنة، وإيّاكم وهذه الأهواء المتفرقة؛ فإنها تورث بينكم العداوة والبغضاء»، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قاعدة كلية في الدين:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢١٢٩) عن أبي العالية قال: «إنّ اللَّه تعالىٰ قضىٰ علىٰ نفسه: أنّ من آمن به هداه؛ وتصديق ذلك في كتاب اللَّه: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ومن توكل عليه كفاه؛ وتصديق ذلك في كتاب اللَّه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣]، ومن أقرضه جازاه؛ وتصديق ذلك في كتاب اللَّه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ومن استجار من عذابه أجاره؛ وتصديق ذلك في كتاب اللَّه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام الثّقة باللَّه، ومن دعاه أجابه؛ وتصديق ذلك في كتاب الله" ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].».

قاعدة في فقه الدعاء:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٠٩) عن التابعيّ صلة بن أشيم العدوي، قال له

رجل: ادع لي، فقال: «رغّبك اللَّه فيما يبْقَىٰ، وزهّدك فيما يفنىٰ، ووهب لك اليقين الذي لا يُسكن إلّا إليه، ولا يُعوّل إلّا عليه».

قاعدة في ذهاب الدين:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٢٥) عن التابعيّ العلاء بن زياد أنه قال:

«إنّكم في زمان أقلكم الذي ذهب عشر دينه، وسيأتي عليكم زمان أقلكم يبقىٰ عليه عشر دينه».

وروىٰ مسلم في «صحيحه» (١٤٥) قال رسول اللَّه ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبَىٰ للغرباء».

وروىٰ مسلم في «صحيحه» أيضًا (٢٩٤٩) قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلّا علىٰ شرار الناس**».

وروىٰ البخاري في «صحيحه» (٧٠٦٨) قال رسول اللَّه ﷺ: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلّا الذي بعده شرّ منه حتىٰ تلقوا ربّكم».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٦٣) عن التابعيّ عبد اللَّه بن غالب يقول في دعائه: «اللهم إنّا نشكو إليك سفه أحلامنا، ونقص عملنا، واقتراب آجالنا، وذهاب الصالحين».

قاعدة: جعل اللَّه للعبد الصالح واعظًا من قلبه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٩٠) عن التابعي المحدّث محمد بن سيرين قال: «إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا، جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه».

قاعدة في بركة التعليم ولازمه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٣٩٦) عن اللبيب الناصح والخطيب الفاصح، كما قال أبو نعيم في ترجمته، عبد اللَّه بن زيد الجرمي أبي قلابة قال: «يا أيوب، إذا أحْدَث اللَّه تعالىٰ لك علمًا، فأحْدِث له عبادة، ولا يكن همّك ما تحدّث به الناس».

قاعدة في مثل العلماء:

روىٰ أبو نعيم (٢٣٩٩) عن أبي قلابة عبد اللَّه بن زيد الجرميّ قال: «مثل العلماء كمثل النجوم التي يُهتدىٰ بها، والأعلام التي يُقتدىٰ بها، فإذا تغيّبت تحيّروا، وإذا تركوها ضلوا».

قاعدة في الرّوح:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٤٢٥) عن أبي قلابة قال: «ليس شيْء أطيب من الرّوح، ما انتزع من شيْء إلّا أنتن».

قاعدة في البدعة والسيف:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٤٢٩، ٢٤٣٠) قال أبو قلابة: «ما ابتدع رجل بدعة إلّا استحل السيف، مثل أهل الأهواء مثل المنافقين، فإن اللَّه تعالىٰ ذكر المنافقين بقول مختلف، وعمل مختلف، وجماع ذلك الضلال، وإنّ أهل الأهواء اختلفوا في الأهواء واجتمعوا علىٰ السيف».

قلت: وروىٰ الآجُرّي في «الشريعة» (٢١١١) عن سلّام بن أبي مطيع قال: «كان أيّوب السختيانيّ يسمّي أصحاب البدع خوارج ويقول: «إنّ الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا علىٰ السيف».

روىٰ البخاري في «صحيحه» (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ»، وفي رواية: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ»**.

وروىٰ مسلم في «صحيحه» (٨٦٧) قال رسول اللَّه ﷺ: «أما بعد، فإنّ خير الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدْي هدْي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

قاعدة في غرور البشر:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٢٤) عن الواعظ اليقظان، موقظ الوسنان، ومنفر الشيطان كما قال أبو نعيم، عن أبي عمران الجوني أنه قال: «لا يغرّنكم مِنَ

اللَّه تعالىٰ طول النسيئة، ولا حسن الطلب، فإنّ أخذه أليم شديد»، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

قاعدة: من أخطأته الجنة صالي النّار:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٣٢) عن أبي عمران الجوْني قال: «إنّه ليس بين الجنة والنار طرق ولا فيافٍ ولا منزل هنالك لأحد؛ من أخطأته الجنة صالي النار».

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣].

قاعدة: ودائع اللَّه لا تضيع:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٢٨) عن أبي عمران الجونيّ قال: «زرع اللَّه في قلوبنا وقلوبكم المودة علىٰ ذكره، وجعل قلوبنا وقلوبكم أوطانًا تحن إليه، وأجرىٰ علينا وعليكم المغفرة، كما جرت علينا وعليكم الذنوب، إنّ اللَّه تعالىٰ لم يستودع شيئًا قط إلّا حفظه، وأنا مستودع اللَّه ديننا ودينكم وخواتيم أعمالنا وخواتيم أعمالكم، كما استودعت أم موسىٰ موسىٰ، وكما استودع يعقوب يوسف، ودائع اللَّه التي لا تضيع في السموات ولا في الأرض وأقرأ عليكم السلام والرحمة».

قاعدة: إذا ابتدع الرجل بدعة ينبغي لها أن تُذكر حتى تُحذر:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤١) عن قتادة بن دعامة السدوسي التابعي، الحافظ الرغّاب، الواعظ الرهّاب، كان عالمًا حافظًا، وعاملًا واعظًا، عن عاصم الأحول قال: جلست إلىٰ قتادة فذكر عمرو بن عبيد [المعتزلي] فوقع فيه، فقلت له: أبا الخطّاب ألا ترىٰ العلماء؟ يقول: بعضهم في بعضهم، **فقال قتادة: «يا أُحيْوَل! ألا تدري أنّ الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تُذكر حتىٰ تُحذر».**

قاعدة في حجّة اللَّه على خلقه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤٩) عن قتادة قال: «ما نهىٰ اللَّه عن ذنب إلّا وقد علم أنّه موقوع، ولكن تقدمة وحجّة».

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

قاعدة في أبواب العلم وصلاح الأحوال:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٦٦) عن قتادة قال: «باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل».

قال رسول اللَّه ﷺ: «**طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم**»، والحديث صححه السيوطي بخمسين طريقًا؛ كما قال المُناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٤٨)، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٥٢٦٤-٥٢٦٧) وحسّنه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ح٦٥٨)، وذكر تصحيح العراقي وحسنه ابن القطان كذلك.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (٣١٤)، وصححه ووافقه الذهبيّ، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع**»، وفي رواية: «**فضل العلم خير من فضل العبادة...**»، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٥٨٦٤) وصححه.

قاعدة: زمّرنا لكم فلم ترقصوا:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٤٧) عن التابعي مالك بن دينار الإمام العالم العامل المعلم قال: «زمّرنا لكم فلم ترقصُوا»، قال أبو نعيم: «أي: وعظناكم فلم تتعظوا».

قلت: وهذا الأثر هو ذمّ ولوم لعدم الاستجابة للَّه وللرسول، بعد إقامة الحجّة والمحجّة، وللَّه الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلّا باللَّه.

قاعدة في علماء الدنيا:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٥٤) عن مالك بن دينار قال: «إنّ في بعض الكتب إنّ اللَّه تعالىٰ يقول: «إنّ أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحبّ الدنيا، أن أُخْرِج حلاوة ذكري من قلبه».

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥]، وقال ﷻ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٥٧) عن مالك بن دينار قال: «يا هؤلاء، إنّ الكلب إذا طُرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح إليه العظم أكبّ عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٧٢) عن مالك بن دينار قال: «إنّكم في زمان أشهب[1] لا يبصر زمانكم إلّا البصير، إنّكم في زمان كثير تفاخرهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم علىٰ أنفسكم، لا يوقعونكم في شباكهم».

قاعدة في اجتماع الشر في العبد وزلة العالم:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٠٦٩) عن التابعي سليمان بن طرخان التيميّ قال: «لو أخذت برخصة كل عالم، أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله».

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، والأثر أجمع عليه أهل العلم سلفًا وخلفًا.

قال ابن عبد البر أبو عمر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٠٩) «صحيح الجامع»: «قال سليمان التيميّ: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشرّ كله»، قال أبو عمر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا والحمد للَّه». اهـ

قاعدة أمّ الخطايا:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣١٣٢) قال التابعي فرقد السَّبْخِيّ: «قرأت في التوراة: أمّهات الخطايا ثلاث: أوّل ذنب عُصِيَ اللَّه به: الكبر، والحسد،

(١) زمان أشهب: أي: قوي شديد، وأكثر ما يستعمل في الشدة والكراهة، يقال: يوم أشهب؛ أي: صعْب لا طاقة لكم به «النهاية» (٢/ ٤٥٧).

والحرص، فاسْتُلّ من هؤلاء الثلاث ستًّا صاروا تسعًا: الشّبع، والنوم، والراحة، وحبّ المال، وحبّ الجماع، وحبّ الرياسة».

قاعدة الخوف والوقار:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٥٠٠) عن التابعي شميط بن عجلان قال: «إن المتقين أتاهم وعيد اللَّه فناموا علىٰ خوف، وقاموا علىٰ وقار».

قال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]، ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ؟[المائدة: ٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

قاعدة: موعظة للغافلين:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٥١٤) عن شميط بن عجلان قال: «بئس العبد؛ خلق للعبادة فصدّته الشهوات عن العبادة، وبئس العبد خلق للعاقبة فصدته العاجلة، فزالت العاجلة وشقي بالعاقبة، كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي من رزقك، قد أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، ولا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع، فكيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترّ في طلب الزيادة، أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته، فالعجب كل العجب لمصدّق بدار الحق وهو يسعىٰ لدار الغرور؟!».

قاعدة مكابدة النفس ودعاء الغريق:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٨٦، ٣٦١٣) عن التابعي محمد بن المنكدر قال: «كابدت نفسي أربعين سنة حتىٰ استقامت، ليأتين علىٰ الناس زمان لا يخلص فيه إلّا من دعا دعاء الغريق». قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قاعدة في صفات القوّالين القوّامين بأمر اللَّه:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٣٦) عن التابعي من سلالة النبوّة، أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر قال لصاحبه جابر الجعفي: «يا جابر إنّي لمحزون،

وإني لمشتغل القلب، قال: ولِمَ حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر إنّه من دخل وقلبه صافٍ خالص لدين اللَّه شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسىٰ أن تكون؟ هل هو إلّا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنّوا إلىٰ الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمّهم عن ذكر اللَّه ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور اللَّه ما رأوا من الزينة؛ ففازوا بثواب الأبرار، إنّ أهل التقوىٰ أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق اللَّه، قوّامين بأمر اللَّه، قطعوا محبّتهم بمحبّة اللَّه ﷻ، ونظروا إلىٰ اللَّه ﷻ، وإلىٰ محبّته بقلوبهم، وتوحّشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم، فأنزل الدنيا بمنزل نزلت به وارتحلت عنه، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت، وليس معك منه شيْء، واحفظ اللَّه تعالىٰ ما استرعاك من دينه وحكمته».

قاعدة: لِمَ حرّم اللَّه الربا؟:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٨٩) عن التابعي أبي جعفر بن محمد الصادق، سُئل: لم حرّم اللَّه الربا؟ قال: «لئلا يتمانع النّاس المعروف».

قاعدة: الأرض تبكي من رجل وتبكي على رجل:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٤٣) عن التابعيّ محمد بن كعب القرظيّ قال: «إن الأرض لتبكي من رجل، وتبكي علىٰ رجل، تبكي لمن كان يعمل علىٰ ظهرها بطاعة اللَّه تعالىٰ، وتبكي ممن يعمل علىٰ ظهرها بمعصية اللَّه تعالىٰ قد أثقلها»[1]، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

قاعدة: من اتقى اللَّه أحبّه الناس وإن كرهوا:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٨١) عن التابعي الحليم الأحلم، السليم الأسلم أبي أسامة زيد بن أسلم قال: «من اتقىٰ اللَّه أحبّه الناس وإن كرهوا»، قال

(١) وفي «الحلية» (٤١٩٦) عن مجاهد قال: «**ما من مؤمن يموت إلّا تبكي عليه الأرض أربعين صباحًا**».

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

قاعدة: كل نعمة لا تقرب من اللَّه فهي بليّة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٠٧، ٣٩٠٨)، عن التابعيّ سلمة بن دينار أبي حازم الأعرج قال: «عند تصحيح الضمائر تُغفرُ الكبائر، وإذا عزم العبد علىٰ ترك الآثام أمَّتْهُ الفتوح، كل نعمة لا تقرب إلىٰ اللَّه ﷻ فهي بليّة».

قاعدة: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٣٩) عن سلمة بن دينار قال: «كل عمل تكره الموت لأجله فاتركه، ثم لا يضرّك متىٰ مِتَّ».

قاعدة: رَضِيَ الناسُ بالحديث وتركوا العمل به:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٥٠) عن سفيان الثوري عن سلمة بن دينار قال: «رضي الناس بالحديث وتركوا العمل !!».

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

قاعدة: لمن الموعظة؟:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٥٢) عن سفيان بن عيينة عن أبي حازم سلمة بن دينار قال: «إنّي لأعظ وما أرىٰ للموعظة موضعًا، وما أريد بذلك إلّا نفسي».

قاعدة: الحذر من اللَّه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٦٩) عن أبي حازم قال: «إذا رأيت ربّك يتابع نِعَمَهُ عليك وأنت تعصيه فاحذره»، قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

قاعدة: مثل العالم والجاهل مثل البَنَّاء والرقَّاص[1]:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٧١) عن أبي حازم سلمة بن دينار قال: «مثل

(١) يقصد بالبنّاء الصانع المتقن في صنعته، وبالرّقّاص المساعد والمعاون له.

العالم والجاهل، مثل البَنَّاءِ والرقّاص، تجد البنّاء علىٰ الشاهق، والقصر معه حديدته جالسًا، والرقّاص يحمل اللّبِن والطين علىٰ عاتقه خشبة تحته مهواة، لو زلّ ذهبت نفسه، ثم يتكلّف الصعود بها علىٰ هول ما تحته، حتىٰ يأتي بها إلىٰ البنَّاء، فلا يزيد البنَّاء علىٰ أن يعد لها بحديدته وبرأيه وبتقديره، فإذا سلما أخذ البنَّاء تسعة أعشار الأجرة، وأخذ الرقّاص عشرًا، وإن هلك ذهبت نفسه، فكذا العالِم يأخذ أضعاف الأجر بعِلمه».

قاعدة: يا واعظ اتّعظ:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٠٠٧) عن التابعي صاحب المعارف والبيان، ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبي عثمان، قال سفيان: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا، فغطىٰ رأسه ثم اضطجع فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا».

قاعدة: رأس الزهادة، وتوسيع كُلّي في مفهوم الزهد ومعناه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٠٠٨) عن ربيعة سئل: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: «جمع الأشياء من حلّها، ووضعها في حقّها».

قاعدة: متى يُحرَّر دين المرء؟

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٥٦٥) عن التابعي أبي عبد اللَّه طاووس بن كيسان قال: «لا يُحَرِّر دين المرء إلا حفرته» يعني: قبره.

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٦٠٠) قال طاووس: «حلو الدنيا مرّ الآخرة، ومرّ الدنيا حلو الآخرة».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٦١٨) عن سفيان قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلىٰ جنب طاووس فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت له، فقال: «أردتُ أن يعلم أن للَّه عبادًا يزهدون فيما في يديه».

قاعدة: الإيمان قائد، والعمل سائق والنفس حرون:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٦٦٣) عن التابعيّ وهب بن منبه قال: «الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حرون، إنْ فَتَرَ قَائِدُهَا صَدَّتْ عن الطريق، ولم تستقم لسائقها، وإنْ فَتَرَ سَائِقُها حَرَنَتْ ولم تتبع قائدها، فإذا اجتمعا استقامت طوعًا أو كرهًا، ولا تستطيع أبدًا إلا بالطوع والكره، إن كان كلما كره الإنسان شيئًا تركه، أوْشك أن لا يبقىٰ من دينه شيْء».

قاعدة: أبناء الأربعين والخمسين والستين خذوا حذركم:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٦٦٩) عن وهب بن منبه قال: «قرأت في بعض الكتب، أن مناديًا يُنادي من السماء الرابعة: يا أبناء الأربعين، أنتم زرع قدْ دَنَا حصاده، يا أبناء الخمسين، ما قدمتم وما أخّرتم، يا أبناء الستّين، لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا، وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم»[1].

قاعدة: رؤوس النعم ثلاثة؛ ثالثها: المال الصالح:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٧٨٥) عن وهب قال: «رؤوس النّعم ثلاثة، فأوّلها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية، التي لا تطيب الحياة إلّا بها، والثالثة: نعمة الغنىٰ التي لا يتم العيش إلّا بها».

• **قلت**: وهذه القاعدة علىٰ ضوء الحديث السابق: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»، كما في آخر الركيزة الأولىٰ، وفقه الحديث.

قاعدة أركان الشرك:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٧٩٢) عن وهب بن منبه قال: «قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان: ركن منه الغضب، وركن منه الشهوة، وركن منه الطمع، وركن منه الخوف».

---

(١) قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين وأقلهم يجوز ذلك**»، رواه الترمذي (٣٥٥٠)، وقال: حديث حسن، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٨)، وصححه ووافقه الذهبيّ.

قاعدة: لو أن أهل القرآن أصلحوا لصلح العباد والبلاد:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٨٢٤) عن التابعي ميمون بن مهران قال: لو أن أهل القرآن أصلحوا لصلح الناس».

قاعدة: العلماء هم ضالّتي:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤٨٣٧) عن ميمون بن مهران قال: «العلماء هم ضالّتي، في كل بلدة وهم بُغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء».

قاعدة: من أساء سرًّا، ومن أساء علنًا:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٨٧١) عن ميمون بن مهران قال: «من أساء سرًّا فليتب سرًّا، ومن أساء علانية فليتب علانية، فإن اللَّه يغفر ولا يُعيّر، والناس يعيّرون ولا يغفرون».

قاعدة: رغيف حلال على مائدة كرام:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٣٩٣١) عن صاحب عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه، أبي وائل شقيق بن سلمة قال: «أهل بيت يضعون علىٰ مائدتهم رغيفًا حلالًا؛ لأهل بيت غرباء».

قاعدة: نعم الرب ربنا؛ لو أطعناه ما عصانا، وكُلّية الكليّات:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٩٤٢) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال للأعمش: «يا سليمان نعم الربّ ربّنا، ولو أطعناه ما عصانا».

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قاعدة: بم يُزيّن القرآن؟

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٤٩٤٣) عن الأعمش عن شقيق: مرّ عليَّ عبد اللَّه ابن مسعود بمصحف مزيّن بالذهب فقال: «**إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق**».

قاعدة: الإحصاء الشديد:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥٠٣٨) عن إبراهيم التيميّ قال: لقد أدركت سبعين شيخًا من أصحاب عبد اللَّه بن مسعود، أصغرهم الحارث بن سويد، فسمعته يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فقال: «**إنّ هذا الإحصاء شديد**».

قاعدة: فواتح التقوى وخواتيمها:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥٥٦٩) عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة قال: «فواتح التقوىٰ حسن النية، وخواتيمها التوفيق، والعبد فيما بين ذلك، بين هلكات وشبهات، ونفس تحطب علىٰ شلوها، وعدو مكيد غير عاقل، ولا عاجز، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]».

والشلو: العضو من أعضاء اللحم، قال عليّ رضي الله عنه: «وأشلاء جامعة لأعضائها»، وأصل الشلو: الجلد والجسد من كل شيء، وكل مسلوخة أكل منها شيْء فبقيتها شلو «لسان العرب» (٩/ ١٢٦).

قاعدة: التوكل جماع الإيمان:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥٦٣٨) عن التابعيّ سعيد بن جبير قال: «التوكّل جماع الإيمان».

قاعدة في الفقهاء والعلماء والبيان والموعظة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥٧٩٠) عن التابعي عامر بن شراحبيل الشعبيّ لما وصفوه بالعلم والفقه قال: «يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء، لسنا بفقهاء ولا علماء، ولكنّا قوم قد سمعنا حديثًا نحدثكم بما سمعنا، إنّما الفقيه من ورع عن محارم اللَّه، والعالم من خاف اللَّه».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥٧٩٤) عن الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] قال: «بيان للناس من العمىٰ،

وهدىٰ من الضلالة، وموعظة من الجهل». قال أبو نعيم الأصفهانيّ: «أدرك الشعبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ خمسمائة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ».

جزء ممن كان من تابعي التابعين[1]

قاعدة: من أوتي من العلم ما لا يبكيه:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٤٨٠) عن عبد الأعلىٰ التيميّ قال: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه؛ لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأن اللَّه تبارك وتعالىٰ نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٤٨٥) عن عبد الأعلىٰ التيميّ قال: «شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي اللَّه عَزَّوَجَلَّ».

قلت: ومرّ حديث رسول اللَّه ﷺ: «أكثروا من ذكر هاذم اللذّات» رواه الترمذي في «سننه» **(٢٣٠٧)** وقال: حديث حسن صحيح.

قاعدة: ضرب الأمثال في القرآن وتأثيرها:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٥١٥) عن عمرو بن مُرّة قال: «أكره أن أمرّ بمثل في القرآن فلا أعرفه؛ لأن اللَّه تعالىٰ يقول: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣٦):

«قال الحسن البصري: «واللَّه ما تدبّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده؛ حتىٰ إنّ أحدهم ليقول: قرأت القرآن كلّه، ما يُرىٰ له القرآن في خلق ولا عمل»، رواه

(١) ذكر أبو نعيم بعض تابعي التابعين قليلًا، ثم سيرجع لتكملة طبقة التابعين.

ابن أبي حاتم». اهـ

قاعدة: أجلّوا مقام اللَّه بالتنزّه عمَّا لا يحل، أفأسفه تريدون؟!

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٥٧٨) عن عمر بن ذر قال: «آنسك جانب حلمه فتوثّبت علىٰ معاصيه؟ أفأسفه تريد؟ أما سمعته يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، أيّها الناس أجلّوا مقام اللَّه بالتّنزّه عما لا يحلّ، فإنّ اللَّه لا يؤمَن إذا عُصِي».

قاعدة في الصبر:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٥٨٠) قال ابن ذر: «من أجمع علىٰ الصبر في الأمور؛ فقد حوىٰ الخير، والتمس معاقل البر، وكمال الأمور».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٥٩٢) عن سفيان بن عيينة يقول: كان ابن عيّاش المنتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: «يا هذا لا تُفْرِط في شتمنا وأبق للصلح موضعًا، فإنّا لا نكافئ مَنْ عصىٰ اللَّه فينا بأكثر من أنْ نطيع اللَّه فيه».

- **ذكر بقية التابعين:**

قاعدة: صفة آيات القرآن:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٦٢٤) قال التابعيّ أبو إدريس الخولاني: إنما القرآن آية مبشّرة، وآية منذرة، وآية فريضة، أو قصص أو أخبار، وآية تأمرك، وآية تنهاك».

قاعدة في ذم البدع:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٦٢٨) قال أبو إدريس الخولانيّ: لأنْ أرىٰ في جانب المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها، أحبّ إليّ من أنْ أرىٰ فيه بدعة لا أستطيع تغييرها».

قاعدة: فتنة وشيطان، أو لقاء اللَّه؟

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٦٤٥) قال التابعي أبو عبد اللَّه الصُّنَابحيّ عبد الرحمن بن عسيلة: «الدنيا تدعو إلىٰ فتنة، والشيطان يدعو إلىٰ خطيئة، ولقاء اللَّه خير من الإقامة معهما».

قاعدة: من لم ينفعه علمه ضرّه جهله، والجائع الظمآن أفهم للموعظة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٨٢٥) عن إمام أهل الشام أبي عبد اللَّه مكحول الشامي التابعيّ قال: «من لم ينفعه علمه ضرّه جهله، اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٦٨٤٨) عن مكحول قال: «أفضل العبادة بعد الفرائض الجوع والظمأ، وكان يقال: الجائع الظمآن أفهم للموعظة وقلبه إلىٰ الرقة أسرع، وكثرة الطعام تدفع كثيرًا من الخير».

قاعدة: ليس الأمر بكثرة الوعظ بل بكثرة العمل:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٧١٩٨) عن عمر بن عبد العزيز الخليفة العالم الراشد، أنه كتب إلىٰ رجل: أوصيك بتقوىٰ اللَّه، الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلّا أهلها، ولا يُثيب إلّا عليها، فإنَّ الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل».

قاعدة: في إدراك العلم والحق:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٧١٩٩) عن عمر بن عبد العزيز قال: «لن تدرك العلم حتىٰ تؤثره علىٰ الجهل، ولا الحق حتىٰ تذر الباطل».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٧٣١٩) عن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ عامل له قال: «أما بعد: فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق، يوم لا يُقضَىٰ بين الناس إلّا بالحق وهم لا يظلمون».

قاعدة: صلاح الأمة وهلاكها برجلين:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٧٣٨٦) كان عمر بن عبد العزيز يقول: «اللهم

أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد، اللهم أهلك من كان في هلاكه صلاح لأمة محمد ﷺ».

قاعدة: فإنّه قد أحيط بك من كل جانب:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨١٢١) عن إمام أهل الشام عبد الرحمن بن عمرٍو أبي عمرٍو الأوزاعي، أنه كتب إلىٰ أخٍ له: «أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يُسارُ بك في كل يومٍ وليلة، فاحذر اللَّه والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام».

قاعدة: لهو العلماء وحكمة الجهلة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨١٢٥) عن الأوزاعي قال: «لهو العلماء خير من حكمة الجهلة». **قلت**: لأن العالم لو لهىٰ فلا يلهو إلا بدليل، والجاهل منزوع الحكمة.

قاعدة: اصبر نفسك مع السنّة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨١٣٧) عن الأوزاعي قال: «اصبر نفسك مع السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عمّا كفّوا، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلّا بالقول، ولا يستقيم القول إلّا بالعمل، ولا يستقيم القول والعمل إلّا بالنّية، ولا يستقيم القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة، وكان من مضىٰ من سلفنا لا يفرّقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنّما الإيمان اسم جامع، كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه، وصدق ذلك بعمله، فتلك العروة الوثقىٰ، التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين».

قاعدة صدق الموعظة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨١٧٧) عن عبد الواحد بن زيد -صاحب الحسن

البصري- قال: «طريق بين القلبين منحرفة، لا يحجز المارّ فيها شيْء، خروج الموعظة من قلب المتكلم، تقع في قلب المستمع، كما خرجت من قلب الواعظ، لا يغيرها شيْء».

قاعدة: الإجابة مقرونة بالإخلاص:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨١٩٣) قال عبد الواحد بن زيد: «الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما». يريد إجابة الدعاء مع الإخلاص.

قاعدة: أُمِرُوا بالزاد وهم يلعبون! هذا نذير قوم!

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨٢٠٤) عن الواعظ النقي أبي بشر صالح بن بشير المرّيّ قال: «يا عجبًا لقوم أُمروا بالزّاد، وأُذِنُوا بالرحيل، وحُبس أولهم علىٰ آخرهم وهم يلعبون».

قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨٢٠٦) عن عبد الرحمن المهدي قال: جلست مع سفيان الثوري في مسجد صالح المرّي فتكلم صالح، فرأيت سفيان الثوري يبكي وقال: «ليس هذا بقاصّ، هذا نذير قوم». النذير العريان.

قاعدة العواقب:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨٢١٣) عن صالح المرّي قال: «دُفعت إليّ صحيفة في المنام فيها: «ما تخوّفت عواقبه، فوطّن نفسك علىٰ أن تجتنبه».

قاعدة: الشهوة والهوى يغلبان:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨٤٥٥) عن عطاء السليمي قال: «بلغنا أن الشهوة والهوىٰ يغلبان العلم والعقل والبيان».

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قاعدة: ترك الذنوب هو الدعاء:

روىٰ أبو نُعيم في «الحلية» (٩٢٩٥) حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري قال: قيل له: يا أبا عبد اللَّه لو دعوت بدعوات؟ قال: «ترك الذنوب هو الدعاء».

قاعدة: من أحب أن يُعصى اللَّه!

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٩٥٤٨) قال سفيان الثوري: «من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد احبّ أن يُعصَىٰ اللَّه».

قاعدة: موت القلب بعشرة أشياء:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٢١٤) عن شقيق بن إبراهيم: مرّ إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة، فاجتمع الناس إليه، فقالوا له: يا أبا إسحاق، إنّ اللَّه تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم بن أدهم: «يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: أوّلها: عرفتم اللَّه ولم تؤدّوا حقّه، والثاني: قرأتم كتاب اللَّه ولم تعملوا به، والثالث: ادّعيتم حبّ رسول اللَّه ﷺ وتركتم سُنّته، والرابع: ادّعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحبّ الجنة ولم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم إنّ الموت حق ولم تستعدّوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربّكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم».

قاعدة: حبُّ الشهرة ليس من الدين:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١١٧٧٣) قال عبد اللَّه بن المبارك: كتب إليّ سفيانُ الثوريُّ: «بُثّ علمك واحذر الشهرة».

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٢٩٩٨) عن عبد الرحمن بن مهدي عن طالوت قال: سمعت إبراهيم بن أدْهم يقول: «ما صَدَقَ اللَّهَ عبدٌ أحبّ الشهرة».

قاعدة: يُدفع الوباء بالذِّكر والتسبيح:

رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٣٤٤٠) عن الإمام الشافعي قال: «لم أَرَ أنفع

للوباء من التسْبيح».

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قاعدة: كل من شغلك عن اللَّه فهو مشؤوم:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٣٩٠٢) عن أبي سليمان عبد الرحمن الدارانيّ قال: «كل ما شغلك عن اللَّه من أهل، أو مال، أوْ وَلَدٍ، فهو عليك مشؤوم».

قاعدة: فإن ما عند اللَّه لا يُنال إلّا بطاعته:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٣٩٢٩) قال صالح لأبي سليمان الداراني: يا أبا سليمان، بأيِّ شيء في الكتاب كله تُنال معرفته؟ قال: بطاعته، قال: فبأيّ شيْء تنال طاعته؟ قال: به». سبحانه وتعالىٰ.

وروىٰ البغوي في «شرح السنة» (٤٠٠٥-٤٩٩٨)، والبيهقيّ في «شعب الإيمان» (١٠٣٧٦)، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٢٢٧٣)، وهو في «صحيح الترغيب» (١٧٠٢)، و«صحيح الجامع» (٢٠٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنّ روح القدس نفث في روعي، أنّ نفسًا لن تموت حتىٰ تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتّقوا اللَّه أجمِلوا في الطلب، ولا يَحْمِلنّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية اللَّه، فإن اللَّه تعالىٰ لا يُنال ما عنده إلّا بطاعته**»، وفي رواية: «**فإنكم لن تدركوا ما عند اللَّه إلّا بمثل طاعته**».

قاعدة: كل نفس مسئولة فمرتهنة أو مُخَلَّصَة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٣٩٥١، ١٣٩٥٢) عن أحمد بن عاصم الأنطاكيّ قال: «كل نفس مسئولة، فمرتهنة أو مُخَلَّصة، وفكاك الرهون بعد قضاء الديون، فإذا أُغلقت الرهون أُكّدت الديون، وإذا أُكدت الديون استوجبوا السجون، فارجع إلىٰ الاستعانة باللَّه علىٰ شرور هذه الأنفس، ومخالفة هذه

الأهواء، ومجاهدة هذا العدو، واشتغل به مضطَّرًا إليه، خائفًا من عقابه، راجيًا ثوابه، واعلم أنّ بينك وبين درجة الصدق أن تنالها عقبة الكذب أن تقطعها، فاستعن علىٰ قطعها بالخوف الحاجز، وبصدق المناجاة للاضطرار بقلب موجع مع ذلك يصفو القلب، ويكثر تيقّظه، وتتسور عليه طوارق الأحزان، وتقل فيه الغفلة، والعين الذي يتفجر منه الخوف والشكر، ومخرج الشكر من اليقين عزيز غير موجود».

قاعدة: أصل العلوم وأشرفها:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٣٩٦٨) عن أحمد بن عاصم الأنطاكيّ قال: «إني تبحّرت العلوم، وجربت الأصول، وأدمت الفكر، وأُلهمت الاعتبار، وعنيت بالأذكار، وطالعت الحكمة، ودارست الموعظة، وتدبّرت القول بالمعقول، وصرّفت المعاني بالذهن، فلم أجد من العلم علمًا ولا للصدر أشفىٰ، ولا للهمّ أنفىٰ، ولا للقلب أحيىٰ، ولا للخير أجلب، ولا للشر أذهب، ولا علىٰ القلب أغلب، ولا بالبعد أولىٰ من علم معرفة المعبود، وتوحيده، والإيمان، واليقين بآخرته، ليصح الخوف من عقابه، والرجاء لثوابه، والشكر علىٰ نعمه، والفكرة ليست لها غاية، والإلهام لا نهاية له، وبدلالات العلوم علم العزم، وبقوة العزم يُقهر الهوىٰ، وإنّما يُوصل إلىٰ حقائق الأخبار بالعناية والفهم والتدبّر، فعند ذلك يصح الإيقان، وتصح الأعمال، وإلّا كانت أعمار الارتياب، ليس المَلِكُ من تابع هواه ونال مُلك الدنيا، بل المَلِكُ من مَلَكَ هواه، واسْتَصْغَر الدنيا».

قاعدة كلية في أصول الدين والإيمان:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٠١٦) قال أبو عبد اللَّه الساجي سعيد بن يزيد: «خمْس خصال ينبغي للمؤمن مِنْ أنْ يعرفها، إحداهنَ: معرفة اللَّه تعالىٰ، والثانية: معرفة الحق، والثالثة: إخلاص العمل للَّه، والرابعة: العمل بالسنة، والخامسة: أكل الحلال، فإن عرف اللَّه ولم يعرف الحق لم ينتفع بالمعرفة، وإن عرف ولم يخلص العمل للَّه لم ينتفع بمعرفة اللَّه، وإن عرف ولم يكن علىٰ السنة لم ينفعه، وإن عرف ولم يكن المأكل من حلال لم ينتفع بالخمس،

وإذا كان من حلال، صفا له القلب فأبصر به أمر الدنيا والآخرة، وإن كان من شبهة اشتبهت عليه الأمور بقدر المأكل، وإذا كان من حرام أظلم عليه أمر الدنيا والآخرة، وإن وصفه الناس بالبصر فهو أعمىٰ حتىٰ يتوب».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٠١٧) أيضًا عنه قال: «من وثق باللَّه فقد أحرز قوّته، ومن حَيَ قلبه فقد لقيَ اللَّه ولا يشك في نظره».

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٩١٠) عن سهل بن عبد اللَّه التستري، قال: «أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب اللَّه تعالىٰ، والاقتداء بسنة رسول اللَّه ﷺ، وأكل الحلال، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥٢١٦) عن الجنيد بن محمد الجُنيد قال: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقّه لا يُقتدىٰ به».

قلت: وهذا الأثر ردّ قوي علىٰ فساد مذهب الصوفيّة؛ لأنهم وصفوا الجُنيد بالصوفية.

قاعدة في أعلام الدين قد حوت جُمَلًا من القواعد:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤١٠٨) عن أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري إمام الوعظ قال:

«**ثلاثة من أعلام المحبة**: الرضا في المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختبار في المحذور.

وثلاثة من أعلام الصواب: الأنس باللَّه في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال.

وثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلىٰ اللَّه تعالىٰ في كل شيْء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وثلاثة من أعمال الثقة باللَّه: السخاء بالموجود، وترك الطلب المفقود، والاستنابة إلىٰ فضل الموجود.

وثلاثة من أعمال الشكر: المقاربة من الإخوان في النّعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر لملاحظة المِنَّة.

وثلاثة من أعمال الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلا.

وثلاثة من أعلام الأنس باللَّه: استلذاذ الخلوة، والاستيحاش من الصحبة، واستحلاء الوحدة.

وثلاثة من أعلام حسن الظن باللَّه: قوة القلب، وفسحة الرجا في الزلة، ونفي الإياس بحسن الإنابة.

وثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدعاء، ودوام الحزن مع الكفاية».

• **وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٢٥٤) عن ذي النون المصري أيضًا أنه قال:**

«**ثلاثة من أعلام الإسلام**: النظر لأهل الملة، وكف الأذىٰ عنهم، والعفو عند المقدرة لمسيئهم.

وثلاثة من أعلام الإيمان: إسباغ الطهارات في المكاره، وارتعاش القلب عند الفرائض حتىٰ يؤدّيها، والتوبة عند كل ذنب خوفًا من الإصرار.

وثلاثة من أعلام التوفيق: الوقوع في الأعمال بلا استعداد له، والسلامة من الذنب مع الميل وقلة الهرب منه، واستخراج الدعاء والابتهال.

وثلاثة من أعمال الخمول: ترك الكلام لمن يكفيه الكلام عند المحاورة والموعظة، وترك الحرص في إظهار العلم عند القراء، ووجدان الألم لكراهة الكلام عند المحاورة والموعظة.

وثلاثة من أعلام الحلم: قلة الغضب عند مخالفة الرأي، والاحتمال عن الورىٰ إخباتًا للربّ، ونسيان إساءة المسيء عفوًا عنه واتساعًا عليه.

وثلاثة من أعلام التقوىٰ: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، وردّ الأمانات إلىٰ أهلها مع الحاجة إليها.

[• من أعلام الاتعاظ باللَّه]

وثلاثة من أعلام الاتعاظ باللَّه: الهرب إليه من كل شيء، وسؤال كل شيء منه، والدلال في كل وقت عليه.

وثلاثة من أعمال الرجاء: العبادة بحلاوة القلب، والإنفاق في سبيل اللَّه برؤية الثواب، والمثابرة علىٰ فضائل الأعمال بخالص التنافس.

وثلاثة من أعلام الحبّ في اللَّه: بذل الشيْء لصفاء الوُدّ، وتعطيل لإرادة اللَّه، والسخاء بالنفس، والمشاركة في محبوبه بصفة العقد.

وثلاثة من الحياء: وزن الكلام قبل التفوّه، ومجانبة ما يحتاج إلىٰ الاعتذار منه، وترك إجابة السفيه حلمًا عنه، فأما الحياء من اللَّه تعالىٰ، فهو ما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**أن لا تنسىٰ المقابر والبلا، وأن تحفظ الرأس وما حوىٰ، وأن تترك زينة الحياة الدنيا**»[1].

وثلاثة من أعلام الأفضال: صلة القاطع، وإعطاء المانع، والعفو عن المظالم.

وثلاثة من أعلام الصدق: ملازمة الصادقين، والسكون عند نظر المنفوسين، ووجدان الكراهة لاطلاع الخلق علىٰ السرائر استقامة علىٰ الحق سرًّا وجهرًا؛ لإيثار ربّ العالمين.

وثلاثة من أعلام الانقطاع إلىٰ اللَّه: تقديم العلم، وتلقين الحكم، والليل الفهم.

وثلاثة من أعلام المروءة: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، ونشر الحسن.

وثلاثة من أعلام التودد: التأنّي في الأحداث، والتوقّر في الزلازل، والترفّق

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٥٨)، وأحمد في «المسند» (٣٦٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١٥)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبيّ، «صحيح الجامع» (٩٣٥)، وصححه السيوطي في «الجامع الصغير» (٩٧٣) وعقب المناوي على السيوطي وضعّف الحديث، وأن الصحيح موقوف كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٦٠٥).

في المقال.

وثلاثة من أعمال الرشد: حسن المجاورة، والنصح عند المشاورة، والبر في المجاورة.

وثلاثة من أعلام السعادة: الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي».

قاعدة: إذا عرض لك أمران لا تدري في أيّهما الرشاد:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٣٣٠) عن أحمد بن أبي الحواري أبي الحسن، عن محمد الكندي يقول: سمعت مشايخنا يقولون: «إذا عُرض لك أمران لا تدري أيّهما الرشاد، فانظر إلىٰ أقربهما إلىٰ هواك مخافة؛ فإن الحق في مخالفة الهوىٰ».

قاعدة: فقه محاسبة النفس:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٦٤٣) عن الجُنيد، عن الحارث بن أسد المحاسبي قال: «**أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوىٰ، وأصل التقوىٰ محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء، وأصل الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد، وأصل معرفة الوعد والوعيد عظم الجزاء، وأصل ذلك الفكرة والعبرة**».

قاعدة: الدنيا كلها جهل ووبال وهباء ووجل إلّا:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٩٢٦) قال سهل بن عبد اللَّه التستري: «الدنيا كلها جهل إلا العلم فيها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه أنت منه علىٰ وجل، حتىٰ يعلم هل قُبل أم لا؟!!!».

قاعدة الهجرة الشرعية والمراقبة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٩٥٢) عن سهل التستريّ قال: «الهجرة فرض إلىٰ يوم القيامة، من الجهل إلىٰ العلم، ومن النسيان إلىٰ الذكر، ومن المعصية إلىٰ

الطاعة، ومن الإصرار إلىٰ التوبة».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٩٥١) قال سهل التستري: «المؤمن من راقب ربّه، وحاسب نفسه، وتزوّد لمعاده».

قاعدة: كلّ شيْء دون اللَّه فهو وسوسة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥٠٢٥) عن سهل التستري قال: «كلّ شيْء دون اللَّه فهو وسوسة».

قاعدة: من الذي يجْتنب المعاصي؟

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥٠٣٢) عن سهل التستري قال: «أعمال البرّ يعملها البرّ والفاجر، ولا يجتنب المعاصي إلّا صدّيق».

قاعدة الرجال الحق:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥١٠١، ١٥١٠٤) عن عمرو بن سلمة أبي حفص النيسابوري، أنّه سُئل من الرجال؟ فقال: «القائمون مع اللَّه بوفاء العهود، قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]؛ من لم يَزِنْ أفعاله وأحواله في كلّ وقت بالكتاب والسنة، ولم يتّهم خواطره، فلا تعدّوه في ديوان الرجال».

قاعدة: الطرق كلها مسدودة إلّا:

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٢٢٢) عن الجُنَيْد قال: «الطرق كلها مسدودة، إلّا من اقتفىٰ أثر الرسول، واتّبع سُنّته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٥٠١٣) عن سهل التستري قال: «أوّل الحق وآخر الحق ما يُراد به وجه اللَّه».

قاعدة: ما كان لهم الخيرة:

روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (١٤٩١١) عن سهل بن عبد اللَّه التستري قال: «من

كان اقتداؤه بالنبيّ ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يحول قلبه سوىٰ ما أحب اللَّه ورسوله ﷺ».

قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قاعدة الإمامة في الدين: فلا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم:

روىٰ أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء» (١٤٩١٣) قال الفقيه العابد الزاهد الحكيم أبو محمد سهل بن عبد اللَّه بن يونس بن رفيع التستري: «أيما عبدٍ قام بشيء مما أمره اللَّه به من أمر دينه، فعمل به، وتمسك، فاجتنب ما نهىٰ اللَّه تعالىٰ عنه، عند فساد الأمور، وعند تشويش الزمان، واختلاف الناس في الرَّأي والتفريق، إلّا جعله اللَّه إمامًا يقتدىٰ به، هاديًا مهديًّا، قد أقام الدين في زمانه، وأقام الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهو الغريب في زمانه، الذي قال رسول اللَّه ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء**»[1]، وما من عبد دخل في شيْء من السنّة، وكانت نيّته متقدّمة في دخوله للَّه؛ إلّا خرج الجهل من سرّه شاء أوْ أبىٰ بتقديمه النية، ولا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم». صدق ونصح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **آخر القواعد: من يرد اللَّه به خيرًا يفقّهه في الدين ويلهمه رشده فيه:**

فقد روىٰ البخاري في «صحيحه» (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يرد اللَّه به خيرًا يفقّهه في الدين، وإنما أنا قاسم واللَّه يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة علىٰ أمر اللَّه لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم علىٰ ذلك**». وفي رواية أوردها الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢١)

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٤٥)، وفي رواية لابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ» (٣٢) بزيادة: «قيل: يا رسول اللَّه، ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**».

وقال: «رجاله موثّقون».

وأوردها المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٠٠) وقال: «إسناده لا بأس به»، وفي «العلم» لأبي خيثمة (٥٧)، وأورده السيوطيّ في «الجامع الصغير» (٩١٠٤) وقال: حسن، قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يُرد اللَّه به خيرًا يفقّهه في الدين ويلهمه رشده فيه**»، وفي رواية في «الجامع الصغير» (٩١٠٥) وقال: حسن، بلفظ: «**من يُرد اللَّه يَهْدِهِ يُفْهِمْهُ**». ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العليم الحكيم الخبير.

- **خلاصة الوعظ والرقاق: تَدَبُّر معنى الزهد وفقهه وكيفية تحقيقه وخلاصته:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٤٦٥٣) عن الحارث بن أسد المحاسبيّ أنه سُئل الزهد في الدنيا وتفاوت الناس فيه فقال:

«**الزهد عندي**: العزوف عن الدنيا، ولذّاتها، وشهواتها، فتنصرف النفس ويتعزَّز الهَمُّ، وانصراف النفس: ميلها إلىٰ ما دعا اللَّه إليها بنسيان ما وقع بها من طباعها، واعتزاز الهَمِّ: الانقطاع إلىٰ خدمة المَوْلَىٰ، يضنّ بنفسه عن خدمة الدنيا مُسْتَحْيِيًامن اللَّه أن يراه خادمًا لغيره؛ فانقطع إلىٰ خدمة سيّده، وتعزَّر بملك ربّه، فتَرْحَل الدنيا عن قلبه؛ ويعلم أنّ في خدمة اللَّه شغلًا عن خدمة غيره، فيُلبسه اللَّه رداء عمله، ويعتقه من عبوديّتها، واعتزّ أن يكون خادمًا للدنيا لعزّة العزيز الذي أعزّه بالاعتزاز عنها، فصار غنيًّا بغير مال، وعزيزًا من غير عشيرة، ودرّت ينابيع الحكمة من قلبه، ونفذت بصيرته، وسَمَتْ هِمّتُهُ، ووصل بالهَمّ إلىٰ منتهىٰ أمنيّته، فترقّىٰ وارتفع ووصل إلىٰ روح الفرج من هموم الأطماع، وعذاب الحرص.

فقيل له: كيف تفاوت الناس في الزّهد؟ فأجاب وقال:

علىٰ قدر صحة العقول وطهارة القلوب، فأفضلهم أعقلهم، وأعقلهم أفهمهم عن اللَّه، وأفهمهم عن اللَّه أحسنهم قبولًا عن اللَّه، وأحسنهم قبولًا عن اللَّه أسرعهم إلىٰ ما دعا اللَّه ﷻ، وأسرعهم إلىٰ ما دعا اللَّه ﷻ أزهدهم في الدنيا، وأزهدهم في الدنيا أرغبهم في الآخرة، فبهذا تفاوتوا في العقول، فكلّ زاهدٍ زهدُهُ

علىٰ قدر معرفته، ومعرفته علىٰ قدر عقله، وعقله علىٰ قدر قوّة إيمانه، فمن استولىٰ علىٰ قلبه وهمّه علم كشف الآخرة، ونبّهَهُ التصديق علىٰ القدوم عليها، وتبيّن قلبه عوار الدنيا، ودلّته بصائر الهدىٰ علىٰ سوء عواقبها، ومحبّة اختيار اللَّه في تركها، والموافقة للَّه في العزوف عنها، ترحّلت الدنيا عن قلب هذا الموفّق». اهـ

قلت: فهذا تقعيد فذّ وحكيم، يملأُه الفقه والفهم والعلم والتعليم، يهدي بفضل اللَّه ومنّه للتي هي أحسن وأقوم وصحة التقويم، ودلّ علىٰ حقارة الدنيا ودسائس عهدها اللئيم، وخطورة الانقياد إليها، والإغماس فيها وغرورها الذميم، وأرشد للعواقب والمآلات والفكر السليم، وحذّر من أهوائها وشهواتها وملذّاتها ونهشاتها ووجّه للسبيل الكريم، ونوّر لك وبيّن معالم الطريق الموفّق إلىٰ اللَّه والدار الآخرة والفوز العظيم، فالحمد للَّه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا إنه سميع بصير عليم.

- **مِسْكُ القرآن والتِّرْيَاقُ المُجرَّب:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٢٠٧) عن خلف بن الوليد قال: كان صالح المرّيّ إذا قصّ قال:

«هات جونة المسك والترياق المُجَرَّب -يعني: القرآن- فلا يزال يقرأ ويبكي حتىٰ ينصرف».

وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٨٢٢١) عن صالح المرّيّ قال:

«أصاب أهلي ريح الفالج فقرأت عليها القرآن ففاقت، فحدّثت به غالب القطان فقال: «وما تعجب من ذلك؟ واللَّه لو أنك حدّثتني أن ميّتًا قُرِئ عليه القرآن فحيي، ما كان ذلك عندي عجبًا».

* * *

«الركيزة الخامسة»
الأصول والفروع وملاك الدين الآثار والاتّباع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام المجتهد المطلق في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٦١-٣٦٤):

«علم النبوّة من الإيمان والقرآن وما يتبع ذلك من الفقه والحديث وأعمال القلوب؛ إنّما خرجت من الأمصار التي يسكنها جمهور أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وهي الحَرَمَان والعِرَاقان والشام: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، وسائر الأمصار، وكذلك أئمة الفقهاء، فمالكٌ عالم أهل المدينة، والثوري وأبو حنيفة وغيرهما من أهل الكوفة، وابن جريج وغيره من أهل مكة، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد من أهل البصرة، والأوزاعيّ وطبقته بالشام، وقد قيل إن مالكًا احتذىٰ مُوَطأه علىٰ كتاب حمّاد بن سلمة، ثم الشافعيّ وإنْ كان مكيًّا، فإنّه تفقّه علىٰ طريقة أهل الحديث، غير مقيّد بمِصْرِهِ، وكذلك الإمام أحمد، وإن كان أجداده بصريين، فإنه تفقّه علىٰ طريقة أهل الحديث غير مقيد بالبصريين ولا غيرهم، كما أن عبد اللَّه بن المبارك، وإسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهم من الخراسانيين، وكذلك أئمة الزّهاد والعبّاد من هذه الأمصار، كما ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» [وهو كتاب في الزهد والرقاق].

فالعلم المشروع والنّسك المشروع مأخوذ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

[• بيان كيفية إصابة طريق النبوّة وجملة من آثار السلف في الاتباع:]

• فمن بنىٰ الكلام في العلم: الأصول والفروع علىٰ الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين؛ فقد أصاب طريق النّبوة، وكذلك من بنىٰ الإرادة والعبادة والعمل، والسماع المتعلّق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية، والأعمال البدنية، علىٰ الإيمان والسّنة والهُدَىٰ الذي كان عليه محمد ﷺ

وأصحابه، فقد أصاب طريق النّبوّة، وهذه طريق أئمة الهدىٰ؛ تجد الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وكتب كتب التفسير المأثورة عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين، وكتب الحديث والآثار المأثورة عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين، وعلىٰ ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه؛ حتىٰ قال في رسالته إلىٰ خليفة وقته المتوكل: لا أحب الكلام في شيْء من ذلك، إلّا ما كان في كتاب اللَّه، أوْ في حديث عن رسول اللَّه ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.

• وكذلك في الزّهد والرقاق والأحوال، فإنّه اعتمد في كتابه «الزهد»[1] علىٰ المأثور عن الأنبياء صلوات اللَّه عليه من آدم إلىٰ محمد، ثم علىٰ طريقة الصحابة والتابعين، ولم يذكر مَن بعدهم، وكذلك وصفه لآخذ العلم أن يكتب ما جاء عن النبيّ ﷺ، ثم عن الصحابة، ثم عن التابعين». اهـ

• **قلت: فهذا منهج أهل السنة والجماعة وعليه أقمت كل كتاب كتبته من قبل ومن بعد**، وسأظل علىٰ هذا المنهاج وهذه الطريقة حتىٰ يتوفّاني اللَّه تعالىٰ.

• روىٰ ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرىٰ» (١٠٢)، والآجرّي في «الشريعة» (١٠٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٠٨)، عن عمر بن عبد العزيز أنّه كتب إلىٰ الناس: «**لا أرىٰ لأحدٍ مع سنّة سنّها رسول اللَّه ﷺ**».

وروىٰ ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٦٠-١٦١) عن ابن عباس قال: «**عليك بالاستقامة، اتبع الأمر الأول ولا تبتدع**»، وهو الأمر العتيق.

وروىٰ اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠٦) عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «**إنّا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكّنا بالأثر**»، وفي لفظ (١٠٤): «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، كل بدعة ضلالة**».

وروىٰ اللالكائي أيضًا (١١٠) عن محمد بن سيرين قال: «**كانوا يرون أنّهم**

(١) «كتاب الزهد» للإمام أحمد، قد حوىٰ على (٢٣٦٦) من الآثار فحسب مقارنة بـ«الحلية».

علىٰ الطريق ما كانوا علىٰ الأثر»، وفي رواية (١٠٩): «**مادام علىٰ الأثر**» وهو مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وروىٰ اللالكائي (١١٣) عن سفيان بن عيينة قال: «**وجدت الأمر الاتباع**».

ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥٠) بلفظ: «**ملاك الأمر الاتباع**»، وروىٰ الخطيب أيضًا (١/ ٢٠٤) عن الإمام أحمد قال: «**إنما هو السنة والاتباع**».

وروىٰ أبو عمر بن عبد البر في «جامعه» المختصر (١٠٠٠) عن سفيان الثوري قال: «**إنّما الدين الآثار**».

● **قلت**: فكانت هذه الآثار هي أصول الدين والشريعة، فالآثار هي سنة رسول اللَّه ﷺ الصحيحة الثابتة، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وسنة صحابة رسول اللَّه ﷺ عمومًا، ثم سنة التابعين، وتابعي التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين؛ فقد قال تعالىٰ آمرًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فمن كان علىٰ هدي رسول اللَّه ﷺ وسنته القولية، والفعلية، والتقريرية، فقد أصاب طريق النبوّة.

وهذه السنن كلها هي أصول الدين باتفاق الأمة سلفًا وخلفًا.

● ولما كان الناس لا يستغنون عن الوعظ والرقائق التي تليّن القلوب وتنشط العبادات من الأقوال والأذكار والأعمال الصالحة، فلابد من تنقية وتصفية وسائل الوعظ والتذكير، علىٰ مثل ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه الكرام؛ ومن أجل ذلك كتبت كتابي هذا.

● **عليك بآثار من سلف؛ فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم:**

روىٰ الخطيب البغدادي في رسالته «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٦) عن الإمام الأوزاعي قال:

«**عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس؛ وإيّاك وأراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول، فإنّ الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم**».

والأثر رواه الآجُرّي في «الشريعة» (١٣٣)، من غير «فإن الأمر ينجلي . . .».

ولفظة الخطيب مهمة وقوية لبيان الأثر والعلة لصلاح الفهم، ومتانة المنهج، وسلامة المعتقد.

- **أصالة دين الإسلام ومَجْدُ أصوله وفروعه:**

والمعنىٰ المراد: مادام المؤمن متأصلًا علىٰ منهج السنة والآثار؛ فهو علىٰ الخير والحق والهدىٰ والرشاد والسداد والتوفيق؛ ولو أصابه ما أصابه، فسينجلي وينكشف عنه ذلك كله ببركة اتباعه لمثل ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين؛ فإن في هذا الاتباع النّجاة والعصمة والأمنة؛ ودليل ذلك الحديث العمدة في هذا الباب وهو:

ما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٥٣١) أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمّتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمّتي ما يوعدون**».

وهناك فائدة في هذا الحديث وهي: أنّه ﷺ لم يقل في هذا الحديث: وأنا أمنة لأمّتي، بل قال: «**وأنا أمنة لأصحابي**» وأزعم -واللَّه تعالىٰ أعلىٰ وأعلم- أنه قال ذلك؛ لبيان مكانة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين؛ فإنّهم هم حاملو الدين والشريعة الكتاب والسنة والفقه والفهم والعلم وصلاح المنهج والسبيل والطريق والنجاة والخلاص، وقد توفّاه اللَّه، فبعد وفاته فلا تزال الأمنة موجودة حاضرة في كل زمان ومكان إذا تمسكت الأمة بآثار الصحابة ومنهجهم وسبيلهم؛ لأنهم وارثو هذه الأمنة بشروط من أتىٰ بها وبِعِلَلِها وأسبابها؛ «**فإن الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم**»، فهذه الأصول التي تُبنىٰ عليها فروع هذا الدين.

قال ابن منظور في «لسان العرب» (١/ ١١٤-١١٥):

«أصل: الأصل أسفل كلّ شيْء، وجمعه أصول، وهو اليأصول، يُقال أصل مؤصّل، . . . ، ورجل أصيل؛ أي: له أصل، ورأي أصيل: له أصل، ورجل

أصيل: ثابت الرأي عاقل، وقد أَصُل أصالة، وفلان أصيل الرأي وقد أَصُل رأيه أصالة؛ وإنّه لأصيل الرأي والعقل، ومجد أصيل؛ أي: ذو أصالة، وعكس ما تقدم: قولهم: لا أصل له ولا فصل، فالأصل: الحسب، والفصل: اللسان...». اهـ

قلت: فإذا استقامت الأصول استقامت الفروع بإجماع الأمة سلفًا وخلفًا؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

روىٰ أبو عمر بن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦١٠) «صحيح الجامع» عن إياس بن معاوية قال: «إنّ الشيْء إذا بُنِي علىٰ عوج لم يكدْ يعتدل».

ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٨٤) بلفظ: «إنّ البناء إذا بُني علىٰ غير أُسٍّ لم يكد يعتدل».

فهذه أسس الوعظ الشرعي، وأصوله، ودعائمه، وفروعه قائمة عليها، وقواعده؛ لمن ألقىٰ السمع وهو شهيد، بالفهم والفقه والعلم والوعي والبصيرة والإدراك.

- **استقامة الأصول سبب لصلاح الفروع ولا يكونا إلا بالعلم المأمول:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٠٩) عن الصحابي عالم الحلال والحرام معاذ بن جبل قال:

«تعلموا العلم؛ فإن تعلّمه للَّه خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقه، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والدليل علىٰ السرّاء والضرّاء، والسلاح علىٰ الأعداء، والدِّين عند الأجلّاء، يرفع اللَّه تعالىٰ به أقوامًا ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدىٰ بفعالهم، ويُنتهىٰ إلىٰ رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتىٰ الحيتان في البحر

وهوامّه، وسباع الطير وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الإبصار من الظُّلَم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدلَ الصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال والعمل تابعه، يُلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء».

* * *

«خاتمة المواعظ»
«كفى بالموت واعظًا وكفى باليقين غِنًى»(١)

• روىٰ ابن ماجه في «سننه» (٤١٩٥) وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٦٨) وقال: رواه ابن ماجه بإسناد حسن، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كنّا مع رسول اللَّه ﷺ في جنازة، فجلس علىٰ شفير القبر [يعني: طرفه]، فَبَكَىٰ حتىٰ بلّ الثّرىٰ [يعني: التراب]، ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعِدّوا**».

• وروىٰ ابن ماجه في «سننه» (٤٢٥٨، ٤٢٥٩) وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٦٢) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت النبيّ ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبيّ اللَّه، مَن أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال ﷺ: «**أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامةِ الآخرة**».

• وروىٰ مسلم في «صحيحه» (١١٨) والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٨٤) عن أبي هريرة، أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرَض من الدنيا**»، وفي رواية: «**يبيع دينه بثمن العنز**».

• وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (١٢٥٧، ١٢٥٨) وصححه ووافقه الذهبيّ، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٩١، ٤٨٩٢)، وأقرّ تصحيح الحاكم، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٣٧٩-٣٨١) وصحّحهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا عسّله**» قيل: وما عسّله؟ قال: «**فتح له عملًا صالحًا قبل موته**»، وفي رواية: «**استعمله**»، قيل: وما

(١) هذا لفظ حديث عن رسول اللَّه ﷺ في «الترغيب والترهيب» (٤٨٦٧)، ضعّفه الهيثميّ في «المجمع» (١٠/ ٣٠٨).

استعمله؟ قال: «**يوفّقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه**»، وفي رواية: «**حتىٰ يرضىٰ عنه من حوله**».

• وفي «الترغيب والترهيب» (٤٧٣٧)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٦٨) في كتاب العلم، والترمذي في «سننه» (٢٤٦٥)، وأحمد في «المسند» (١٠٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «الصحيحة» (٩٥٠): إسناده جيد ورجاله ثقات عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رحم اللَّه مَن سمع مقالتي حتىٰ يُبلّغها غيْره، ثلاث لا يَغلُّ عليهنَّ قلبُ امرئٍ مسلم: إخلاص العمل للَّه، والنّصح لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعاءَهم محيط من ورائهم، إنّه من تكن الدُّنيا نيّته، يجعل اللَّه فقره بين عينيه، ويُشتّتُ عليه ضَيْعَتَهُ، ولا يأتيه منها إلّا ما كُتب له، ومن تكن الآخرة نيّته يجعل اللَّهُ غِنَاهُ في قلبه ويكفيه ضَيْعَتَهُ، وتأتيه الدّنيا وهي راغمة**».

• وروىٰ ابن حبّان في «صحيحه» (٣٦١)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٨٥٩) من حديث أبي ذر وفيه: قلت: يا رسول اللَّه، فما كانت صحف موسىٰ عليه السلام؟ فقال ﷺ: «**كانت عِبَرًا كلّها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبتُ لمن أيقن بالنّار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدَر ثم هو ينصب، عجبتُ لمن رأىٰ الدنيا وتقلّبها بأهلها ثم اطمأنّ إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدًا ثم لا يعملُ**». قال المنذري: رواه ابن حبان في «صحيحه» وغيره.

وروىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٦٥٦) عن الحارث بن أسد المحاسبيّ (ت٢٤٣هـ) قال: «العلم يورّث المخافة، والزّهد يورّث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة، وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم، ومن صحّح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيّن اللَّه ظاهره بالمجاهدة واتباع السّنة، ومن اجتهد في باطنه ورّثه اللَّه حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته في ظاهره مع جهد باطنه، ورّثه اللَّه الهداية إليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]».

قلت: قال أبو عبد اللَّه القرطبيّ في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٧٤) عند تفسير هذه الآية: قال السدّي وغيره: «إنّ هذه الآية نزلت قبل فرض القتال»، قال ابن عطية: «فهي قبل الجهاد العرفيّ، وإنّما هو جهاد عامّ في دين اللَّه وطلب مرضاته»، وقال الحسن بن أبي الحسن البصريّ: «الآية في العُبّاد»، وقال ابن عباس وإبراهيم بن أدهم: «هي في الذين يعملون بما يعلمون»، ونزع بعض العلماء إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال عمر بن عبد العزيز: «إنّما قصّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علمًا لا تقوم به أبداننا؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾، وقال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفّار فقط، بل هو نصر الدين، والردّ علىٰ المبطلين، وقمع الظالمين، وعُظْمُهُ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة اللَّه، وهو الجهاد الأكبر»، وقال الضّحاك: «معنىٰ الآية: والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينّهم سبل الثبات علىٰ الإيمان، مثل السنّة في الدنيا، مثل الجنّة في العقبىٰ، من دخل الجنّة في العُقبَىٰ سلم، كذلك من لزم السنّة في الدنيا سَلِم»[1]، وقال ابن عباس: «والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينّهم سبل ثوابنا»، [قال القرطبي:] وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال، ونحو ما قال عبد اللَّه بن الزبير قال: «تقول الحكمة: من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين: أن يعمل بأحسن ما يعمله، ويجتنب أسوأ ما يعمله»، قوله تعالىٰ: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: طريق الجنّة؛ قاله السدّي.

وقال النَقاش: «يوفقهم لدين الحق»، وقال يوسف بن أسباط: «المعنىٰ: لنخلّصنّ نيّاتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم»، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية، ومع الجميع بالإحاطة والقدرة، فبيْن المعنيين بَوْنٌ وفرق عظيم». اهـ

---

(١) روىٰ البخاري في «صحيحه» (١٠) قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهىٰ اللَّه عنه**».

● **إنّما منعوا الوصول بتضييع الأصول:**

روىٰ أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٥٣) عن محمد بن محمد بن أبي الورد، وهو من جلّة وكبار المشايخ كما قال أبو نعيم في ترجمته، أنه قال: «آفة الخلق في حرفين[1]: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل جوارح بلا مواطأة القلب؛ وإنّما مُنِعوا الوصول؛ بتضييع الأصول».

قلت: وبهذا التقعيد ينتهي التصعيد.

● وهذا آخر ما كان من مسائل الكتاب، واللَّه الهادي والموفّق للصواب، وهو نعم المولىٰ ونعم النصير الوهّاب، وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وكان الانتهاء من كتابته في ليلة الأحد قبيل صلاة العشاء الأحد/ ١٦/ رجب/ ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٨/ يناير/ ٢٠٢٤/ م، مدينة نصر، عزبة الهجانة، القاهرة، مصر، حفظها اللَّه ورعاها، خطّه ودوّنه الفقير إلىٰ ربه: عيد أبو السعود الكيال، ولا حول ولا قوة إلّا باللَّه.

* * *

(١) في حرفين: يعني في أصلين وركنين كبيرين.

«فهرس الكتاب»

- مقدمة الكتاب «دين الإسلام كتاب وسنة: مواعظ وحكم وبلاغات، وملاكه التوحيد» ٣
- المعالم القرآنية: وفيها عشرات الآيات الكلية ٥

ثبت العرش ثم أنقش

افتتاحية تعريش وفكرة نقش وتأسيس وتنصيص ١٧

- تعليق علىٰ ما مرّ من المقدمة ٢١
- كان رسول اللَّه ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة، وجملة أحاديث مهمة ٢١
- شرح الحديث ٢١
- الوعظ حكم من الأحكام الشرعية وبيان ذلك بدليله ٢٥
- الوسائل والمقاصد وذكر قاعدتين ٢٧
- قاعدة «الوسائل لها أحكام المقاصد»، وقاعدة «كل ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، ما لم يكن حرامًا أو بدعة» ٢٧
- بيان مقصدي من هذا الكتاب؟ ٢٧
- بيان خطّة البحث ٣٠

«الركيزة الأولى»

فقه الوعظ والرّقاق والزهد وصفته وصوره

ولوازمه والصلة بين ذلك كله

والذي هو توطئة لموضوع البحث ٣١

- بيان الوعظ ما هو؟ ٣١
- ذكر حديث: «**والداعي من فوق الصراط واعظ اللَّه في قلب كل مسلم**» .. ٣٢
- شرح الحديث ٣٢

- وما يدريك؟ لعله يزّكىٰ !! ٣٣
- العلاقة بين الوعظ والرّقاق، وجملة من الأحاديث ٣٤
- حديث: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**» ٣٤
- من كتاب الرقاق عند البخاري ٣٤
- شرح الحديث وبيان معنىٰ الرّقاق ٣٤
- بيان معنىٰ الغبن وفقهه ٣٤
- جملة من الأحاديث وشرحها في أبواب الرقاق ٣٦
- الزهد صورة من صور الوعظ والرقاق وهذا صنيع الفقهاء وأهل العلم ... ٣٧
- بيان أن الزهد أصل الدين ٣٨
- فقه الإمام البيهقيّ في «الزهد الكبير» وصفة الزهد ٣٨
- الترغيب في الزهد في الدنيا عند المنذري وجملة من الأحاديث من كتاب: «الترغيب والترغيب» ٣٩
- بيان صنيع البخاريّ في «صحيحه»، وما فيه من الوعيّ ٤٠
- أبواب البخاري في كتاب الرقاق وباب الأمل وطوله ٤١
- كيف يكون طول الأمل من الفقه والدين؟! ٤٢
- نهشة الأمل ٤٢
- لماذا عبّر ﷺ بالنهشة؟! ٤٣
- بيان كيفية كون الوعظ والرقاق عماد في الدين وتأصيل عقدي متين ٤٣
- ومن شمولية الدّين في رقاق البخاري: بيان القصد والمداومة علىٰ العمل ٤٤
- ومن الشمولية في الدين: «ألا كلّ شيْء ما خلا اللَّه باطل» ٤٥
- ومن الشمولية في كتاب الرقاق: غِنَىٰ النفس وصلاح المعتقد والفهم ٤٦
- ومن الشمولية في الدين في كتاب الرقاق: ذهاب الصالحين وفساد الدنيا والدين ٤٧
- ومن الشمولية: التوحيد الخالص للمؤمن مع الوقوع في الكبائر وعدم خلوده في النار ٤٨

- ومن الشمولية: ما يُتقّىٰ من مُحَقّرات الذنوب وَزِنَةُ مثاقيل الذَّر ٤٩
- بيان ذكر بقية أبواب الرقاق عند البخاري مُجْمَلةً سردًا ٥٠
- كتاب الزهد في «سنن ابن ماجه» وطرفًا منه ٥٢
- باب الهمّ بالدنيا وحديث فيه ٥٣
- باب الورع والتقوىٰ وحديث فيه ٥٣
- باب التوكل واليقين وحديث فيه ٥٤
- الرقاق والدعوة إلىٰ اللَّه علىٰ بصيرة بالنذير العُرْيان ٥٤
- كتاب الزهد عند الترمذي وذكر طرف منه بأحاديثه وشرحها ٥٥
- قول الناس في صفة الزهد؟ ٦١
- فما بال هذا الحديث؟! ٦١

«الركيزة الثانية»

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ٦٣

- ذكر حديث في «الصحيحين» مرتبط بالآية: ٦٤
- قوله المفسرين في الآية ٦٤
- سرد جملة من الآيات وبيان تفسيرها ٦٤
- الدعوة إلىٰ اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة وبيان آية وتفسيرها ٦٦
- ذكر آية ثالثة وتفسيرها ٦٧
- إنّ هذه موعظة ومودّع وذكر حديث وشرحه ٦٨

«الركيزة الثالثة»

اتّفاق الأمة سلفًا وخلفًا على ضرورة الوعظ كحكم شرعيّ في هذا الدين

٧٠

- بيان إجماعات في الباب من كتاب «الإقناع في مسائل الإجماع» ٧٠
- ذكر حديث في المسألة عند مسلم في «صحيحه» ٧١
- الوعظ والرقاق هو سنة صحابة رسول اللَّه ﷺ واتفاقهم علىٰ ذلك سلفًا وخلفًا، ومَنْ بعدهم سائرون علىٰ نهجهم وهديهم من خلال الموسوعة الأثرية

«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني ٧٢
- أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٧٢
- الوحا الوحا والنجَا النجا ٧٢
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٣
- زنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا ٧٣
- عثمان بن عفّان رضي الله عنه ٧٤
- لو أنّي بين الجنة والنار لاخترت أن أكون رمادًا ٧٤
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٧٤
- ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن أن يكثر عملك ٧٤
- إنّي فقأت عين الفتنة ٧٥
- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ٧٥
- إنّي لأخشىٰ أن يكون قد عجلت لنا الدنيا ٧٥
- أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه ٧٥
- ألا ربّ مُبيّض لثيابه مُدنّس لدينه ٧٥
- عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه ٧٦
- ربّ شهوة تورّث حُزنًا طويلًا ٧٦
- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ٧٧
- لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلىٰ نسائكم ٧٧
- عتبة بن غزوان رضي الله عنه ٧٧
- لم يبق من الدنيا إلا صُبابة كصبابة الإناء ٧٧
- عامر بن ربيعة رضي الله عنه ٧٨
- نزلت اليوم فينا آية أذهلتنا عن الدنيا ٧٨
- سلمان الفارسيّ رضي الله عنه ٧٨
- خذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك ٧٨
- الوعظ المزخرف والنافع منه ٧٨

- أبو الدرداء رضي الله عنه ٧٩
- الفكر والاعتبار ٧٩
- وهذا بكاء الفقيه؟! ٨٠
- معاذ بن جبل رضي الله عنه ٨٠
- إن معاذ بن جبل كان أمةً قانتًا للَّه حنيفًا ٨٠
- بكاء طالب علم علىٰ موت عالمه ٨١
- أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ٨٢
- عليكم بالسبيل والسّنة ٨٢
- أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه ٨٢
- يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه ٨٢
- حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ٨٣
- وَقْعُ الفتن أشد وأعظم من الخمر ٨٣
- عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما ٨٣
- ملاك القول الفعل ٨٤
- الحسن البصري التابعي رحمه الله ٨٤
- دينك دينك فإنه لحمك ودمك ٨٤
- أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون المعاينة؟ فأن قد ٨٥
- محمد بن المنكدر التابعي رحمه الله ٨٥
- أتعبتم الواعظين!!! ٨٥
- إنّ اللَّه ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ٨٦
- ختامه مسك، وأثر جليل للحسن البصريّ ٨٦
- فبالإسلام أعطىٰ اللَّه ما رأيتم ٨٦
- فإنّها لا تضرّك فتنة ما عرفت دينك ٨٧
- بيان أن كل ما ذُكر في هذه الآثار هو بمثابة التقعيد ٨٧

- خيرُ القرونِ القرونُ الثلاثةُ، ثم ظهرت البدع بعدهم ٨٨
- أثر الوعظ في المكلّفين بين الظن واليقين ٨٩
- هلاك الأمّة كيف يكون؟قاعدة بيان ٩٠
- العقل الصحيح ما يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه ٩١
- ما الخلاص مما نحن فيه؟! ٩١

الركيزة الرابعة»

قواعد البناء الفقهيّ الشرعيّ وضوابطه

في الوعظ والرقاق ٩٢

- معنىٰ القاعدة والضابط لغةً وشرعًا ٩٢
- قاعدة القواعد البيانية ٩٤
- صفة التقعيد في هذا الكتاب وذكر صورٍ منها للبيان ٩٤
- الفقه والفهم ثم ازهد علىٰ علم ٩٧
- تقعيد علىٰ لسان أئمة في الوعظ وأصول السنة والدين من التابعين وتابعيهم ٩٧
- قاعدة كبرىٰ في التقوىٰ: وهي المجمع عليها في هذا الأثر ٩٧
- قاعدة كبرىٰ وموعظة في الزّهد المُهلِكِ: وهي في هذا الأثر ٩٨
- قاعدة في الإخلاص ٩٨
- قاعدة في الغاية ٩٨
- قاعدة في وجوب الحزن ٩٨
- قاعدة: الصبر والسماحة ٩٩
- قاعدة: المؤمنون قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ٩٩
- قاعدة في التّعبد ٩٩
- قاعدة في التوبة ٩٩
- قاعدة في السّتر والفضيحة ١٠٠
- قاعدة في الإسلام ١٠٠
- قاعدة كلية في الدين ١٠٠

- قاعدة في فقه الدعاء ١٠٠
- قاعدة في ذهاب الدين ١٠١
- قاعدة: جعل اللَّه للعبد الصالح واعظًا من قلبه ١٠١
- قاعدة في بركة التعليم ولازمه ١٠١
- قاعدة في مثل العلماء ١٠٢
- قاعدة في الرّوح ١٠٢
- قاعدة في البدعة والسيف ١٠٢
- قاعدة في غرور البشر ١٠٢
- قاعدة: من أخطأته الجنة صالي النّار ١٠٣
- قاعدة: ودائع اللَّه لا تضيع ١٠٣
- قاعدة: إذا ابتدع الرجل بدعة ينبغي لها أن تُذكر حتىٰ تُحذر ١٠٣
- قاعدة في حجّة اللَّه علىٰ خلقه ١٠٣
- قاعدة في أبواب العلم وصلاح الأحوال ١٠٤
- قاعدة: زمّرنا لكم فلم ترقصوا ١٠٤
- قاعدة في علماء الدنيا ١٠٤
- قاعدة في اجتماع الشر في العبد وزلة العالم ١٠٥
- قاعدة أمّ الخطايا ١٠٥
- قاعدة الخوف والوقار ١٠٦
- قاعدة: موعظة للغافلين ١٠٦
- قاعدة مكابدة النفس ودعاء الغريق ١٠٦
- قاعدة في صفات القوَّالين القوَّامين بأمر اللَّه ١٠٦
- قاعدة: لِمَ حرّم اللَّه الربا؟ ١٠٧
- قاعدة: الأرض تبكي من رجل وتبكي علىٰ رجل ١٠٧
- قاعدة: من اتقىٰ اللَّه أحبّه الناس وإن كرهوا ١٠٧
- قاعدة: كل نعمة لا تقرب من اللَّه فهي بليّة ١٠٨

- قاعدة: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ١٠٨
- قاعدة: رَضِيَ الناسُ بالحديث وتركوا العمل به ١٠٨
- قاعدة: لمن الموعظة؟ ١٠٨
- قاعدة: الحذر من اللَّه ١٠٨
- قاعدة: مثل العالم والجاهل مثل البَنَّاء والرقَّاص ١٠٨
- قاعدة: يا واعظ اتّعظ ١٠٩
- قاعدة: رأس الزهادة، وتوسيع كُلّي في مفهوم الزهد ومعناه ١٠٩
- قاعدة: متىٰ يُحرَّر دين المرء؟ ١٠٩
- قاعدة: الإيمان قائد، والعمل سائق والنفس حرون ١١٠
- قاعدة: أبناء الأربعين والخمسين والستين خذوا حذركم ١١٠
- قاعدة: رؤوس النعم ثلاثة؛ ثالثها: المال الصالح ١١٠
- قاعدة أركان الشرك ١١٠
- قاعدة: لو أن أهل القرآن أصلحوا لصلح العباد والبلاد ١١١
- قاعدة: العلماء هم ضالّتي ١١١
- قاعدة: من أساء سترًا، ومن أساء علنًا ١١١
- قاعدة: رغيف حلال علىٰ مائدة كرام ١١١
- قاعدة: نعم الرب ربنا؛ لو أطعناه ما عصانا، وكُلّية الكليّات ١١١
- قاعدة: بم يُزيّن القرآن؟ ١١١
- قاعدة: الإحصاء الشديد ١١٢
- قاعدة: فواتح التقوىٰ وخواتيمها ١١٢
- قاعدة: التوكل جماع الإيمان ١١٢
- قاعدة في الفقهاء والعلماء والبيان والموعظة ١١٢
- جزء ممن كان من تابعي التابعين ١١٣
- قاعدة: من أوتي من العلم ما لا يبكيه ١١٣
- قاعدة: ضرب الأمثال في القرآن وتأثيرها ١١٣

- قاعدة: أجلّوا مقام اللَّه بالتنزّه عمَّا لا يحل، أفأسفه تريدون؟! ١١٤
- قاعدة في الصبر ١١٤
- ذكر بقية التابعين ١١٤
- قاعدة: صفة آيات القرآن ١١٤
- قاعدة في ذم البدع ١١٤
- قاعدة: فتنة وشيطان، أو لقاء اللَّه؟ ١١٥
- قاعدة: من لم ينفعه علمه ضرّه جهله، والجائع الظمآن أفهم للموعظة ... ١١٥
- قاعدة: ليس الأمر بكثرة الوعظ بل بكثرة العمل ١١٥
- قاعدة: في إدراك العلم والحق ١١٥
- قاعدة: صلاح الأمة وهلاكها برجلين ١١٥
- قاعدة: فإنّه قد أحيط بك من كل جانب ١١٦
- قاعدة: لهو العلماء وحكمة الجهلة ١١٦
- قاعدة: اصبر نفسك مع السنّة ١١٦
- قاعدة صدق الموعظة ١١٦
- قاعدة: الإجابة مقرونة بالإخلاص ١١٧
- قاعدة: أُمِرُوا بالزاد وهم يلعبون! هذا نذير قوم! ١١٧
- قاعدة العواقب ١١٧
- قاعدة: الشهوة والهوىٰ يغلبان ١١٧
- قاعدة: ترك الذنوب هو الدعاء ١١٨
- قاعدة: من أحب أن يُعصىٰ اللَّه ! ١١٨
- قاعدة: موت القلب بعشرة أشياء ١١٨
- قاعدة: حبُّ الشهرة ليس من الدين ١١٨
- قاعدة: يُدفع الوباء بالذِّكر والتسبيح ١١٨
- قاعدة: كل من شغلك عن اللَّه فهو مشؤوم ١١٩
- قاعدة: فإن ما عند اللَّه لا يُنال إلّا بطاعته ١١٩

- قاعدة: كل نفس مسئولة فمرتهنة أو مُخَلَّصَة ١١٩
- قاعدة: أصل العلوم وأشرفها ١٢٠
- قاعدة كلية في أصول الدين والإيمان ١٢٠
- قاعدة في أعلام الدين قد حوت جُمَلًا من القواعد ١٢١
- من أعلام الاتعاظ باللَّه ١٢٣
- قاعدة: إذا عرض لك أمران لا تدري في أيّهما الرشاد ١٢٤
- قاعدة: فقه محاسبة النفس ١٢٤
- قاعدة: الدنيا كلها جهل ووبال وهباء ووجل إلّا ١٢٤
- قاعدة الهجرة الشرعية والمراقبة ١٢٤
- قاعدة: كلّ شيْء دون اللَّه فهو وسوسة ١٢٥
- قاعدة: من الذي يجْتنب المعاصي؟ ١٢٥
- قاعدة الرجال الحق ١٢٥
- قاعدة: الطرق كلها مسدودة إلّا ١٢٥
- قاعدة: ما كان لهم الخيرة ١٢٥
- قاعدة الإمامة في الدين: فلا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم ١٢٦
- آخر القواعد: من يرد اللَّه به خيرًا يفقّهه في الدين ويلهمه رشده فيه ١٢٦
- خلاصة الوعظ والرقاق: تَدَبُّر معنىٰ الزهد وفقهه وكيفية تحقيقه وخلاصته ١٢٧
- مِسْكُ القرآن والتِّرْيَاقُ المُجرَّب ١٢٨

«الركيزة الخامسة»

الأصول والفروع وملاك الدين الآثار والاتّباع ١٢٩

- بيان كيفية إصابة طريق النبوّة وجملة من آثار السلف في الاتباع ١٢٩
- عليك بآثار من سلف؛ فإن الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم ١٣١
- أصالة دين الإسلام ومَجْدُ أصوله وفروعه ١٣٢
- استقامة الأصول سبب لصلاح الفروع ولا يكونا إلا بالعلم المأمول ١٣٣

«خاتمة المواعظ»

«كفى بالموت واعظًا وكفى باليقين غِنًى» ١٣٥

- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وأقوال السلف في تفسيرها، وبها نهاية الكتاب ١٣٦
- إنّما منعوا الوصول بتضييع الأصول ١٣٨
- «فهرس الكتاب» ١٣٩

* * *